الخدمة الإجتماعية الناهضة

الأهداف المهنية وإحداث النقلة

الدكتور عقيل حسين عقيل

طرابلس، ليبيا
2022

الخدمةُ الاجتماعيَّة النَّاهضة

(الأهدافُ المهنيَّة وإحداث النُّقلة)

أ د. عقيل حسين عقيل

طرابلس ليبيا

2022م

المحتويات

المقدِّمةُ 4

الأهدافُ مرتكزٌ لإحداث النُّقلة..... 6

المستويات القيميَّة المحدثة للنُّقلة..... 16

تحديد الأهدافُ 19

الأهداف المهنيَّة المحقِّقة النُّقلة 28

هدف تدعيم رأس المال الاجتماعي:..... 31

هدف تدعيم قيم التطلُّع..... 41

هدف حمْل المسؤوليَّة..... 51

هدف نيل التقدير 55

الإنسان يسعى لنيل التقدير 60

هدف نيل الاعتراف 62

هدف تفعيل الاستيعاب 67

هدف الإصلاح الاجتماعي 72

الإصلاح يُحسِّن أحوال المجتمع 74

هدف التأهيل الاجتماعي..... 77

هدف تحقيق الرَّفاهية الاجتماعيَّة..... 79

إشباع الحاجات ضرورة إنسانيَّة..... 80

هدف تحقيق التوافق الاجتماعي..... 80

التوافق الاجتماعي إرادي..... 84
هدف تحقيق التكيُّف الاجتماعي 85
ليس دائمًا التكيُّف يتحقّق بتنازلات..... 90
هدف تقديم المساعدة الهادفة 105
هدف التحصين القيمي.....109
إحداث النُّقلة المهنيَّة.....112
إحداث النُّقلة تبوء منزلة.....121
إحداثُ النُّقلة رفعة 129
صدر للمؤلّف 148
المؤلّفات.....150
المؤلّف في سطور 171

المقدِّمةُ

الخدمةُ الاجتماعيَّة النَّاهضة مهنة وإنْ بدأت مع النَّاس من حيث هم، فإنَّها لا تركن إليهم ولا تقبل البقاء معهم وفقًا لما هم عليه، بل هدفها دائمًا إحداث النُّقلة المهنيَّة بغاية النُّهوض بالخدمة الاجتماعيَّة ورفعة أساليبها ورفعة ممارسيها.

ولأنَّها مهنة فلا تكون إلَّا ولها فلسفة، وفلسفة الخدمة الاجتماعيَّة لا ترى الإنسان إلَّا قيمة في ذاته؛ ولذا فلا إمكانيَّة لإهماله أو غض النظر عنه نهوضًا.

ولذا فنحن في مؤلَّفنا: الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة (الأهداف المهنيَّة وإحداث النُّقلة) نقدّم أهداف المهنة تجدّدًا وإضافة بطرق منهجيَّة وأساليب ليّنها فلسفة المهنة قيمًا خيّرة، وفضائل حميدة، دون أن نغض النَّظر عن أهميَّة العرف والعادة في استيعاب خصوصيَّات الأفراد والجماعات والمجتمعات.

ولأنَّ لمهنة الخدمة الاجتماعيَّة أهدافٌ واضحةٌ؛ إذن فلها مرامي بعيدة تُرسم لها الخطط والسّياسات والاستراتيجيَّات، وفقًا للحاجة ومشبعاتها، والظُّروف وتفهمها، والإمكانات والعمل على جمعها وتسخيرها، وكل ذلك بما يحقّق النَّهضة نقلة ورفعة.

ومع أنَّ الأهداف تسبق إحداث النُّقلة، فإنَّ الأهداف إذا لم تستقرأ المستقبل فلا تحدثها؛ ولهذا فلا نقلة إلَّا والأهداف الناهضة من خلفها دافعة ومحفّزة.

ومع أنَّ مسمى المهنة هو الخدمة الاجتماعيَّة، فإنَّه لا مرامي لمهنة الخدمة الاجتماعيَّة تقصدها إلَّا ذلك البعد الإنساني قيمًا وخُلقًا، ودون غفلة عن تلك الحقوق التي ينبغي أن يمارسها الفرد أو الجماعة أو المجتمع، ودون غفلة عن تلك الواجبات التي ينبغي أن يؤدِّيها الإنسان وأينما كان، ودون غفلة عن تلك المسؤوليَّات التي ينبغي أن تُحمل من قِبل الفرد والجماعة والمجتمع.

ومع أنَّنا نستفيد من الرُّجوع إلى مصادر المعلومات ومراجعها، فإنَّ كتابتها قد اختصرت في الحواشي، وتركنا صفحات المراجع لمؤلَّفاتنا كونها كثر.

أ د. عقيل حسين عقيل

طرابلس ليبيا

2023م

الأهدافُ مرتكزٌ لإحداث النُّقلة

لا شكّ أنَّ لكل مهنة أهدافها المراد لها أن تُنجز بمهنيَّة وعلى أيدٍ مِن المتخصصين والممارسين للمهنة؛ ومن هنا ووفقًا لقواعد البرمجيَّة القيميَّة للخدمة الاجتماعيَّة الرّئيسة تمت صياغة أهداف المهنة في تعريفات سُلوكيَّة وعلى قواعد واستثناءات: فالقواعد هي المترجمة للقيم التي يرتضيها المجتمع الإنساني مع مراعاة الخصوصيَّات الاجتماعيَّة لكل أمّة أو شعب أو بلد من البلدان في القرية الصّغيرة، وهي التي يُعد اتباعها وجوبي. والاستثناءات هي التي يكون عليها سلوك الفرد أو الجماعة أو المجتمع عندما يكون على حالة انحراف سالب، أو للضرورة التي يقع فيها الأفراد نتيجة ضغوط أو حاجة أو إجبار وإكراه.

ولذا لقد تم تفكيك كل هدف من الأهداف المهنيَّة للخدمة الاجتماعيَّة، بغاية استخراج القواعد القيميَّة التي يتضمنها كل هدف، واستخراج دور الأخصائي الاجتماعي كما ورد في صياغة الأهداف المهنيَّة، مع ترجمته سلوكيًّا في فروض مثبتة واستنباط واستخراج القواعد التي يرتكز عليها كل فرض من الفروض المثبتة، وتبيان ما يجب أن يتم حيالها من إجراءات مهنيَّة من قبل الأخصائي الاجتماعي.

وعليه فإنَّ البرمجيَّة القيميَّة في الخدمة الاجتماعيَّة ترتكز على فلسفة التغيير بغاية إحداث النُّقلة.

ولأنَّه التغيير المقصود، فهوى لا يؤدّى إلَّا عن وعي ومعرفة تامة بهدف الانتقال والتحوّل من حالة إلى أخرى، ومن مستوى قيمي أقل إلى مستوى قيمي أفضل، ثم إلى مستوي قيمي آخر أكثر تفضيلًا.

والبرمجيَّة القيميَّة تبدأ مع العملاء والنزلاء بمؤسسات الرِّعاية والخدمة الاجتماعيَّة من حيث هم، لتعود بهم إلى القواعد الاجتماعيَّة والإنسانيَّة التي انحرفوا عنها، ثم تدفع بهم إلى ما يؤدِّي إلى إحداث النُّقلة في حركة التغير والتطوّر الاجتماعي.

ولا تقف البرمجيَّة القيميَّة للخدمة الاجتماعيَّة عند حد التغيير الظاهري، للسُّلوك والفعل، بل تمتد إلى تغيير المعلومة الخاطئة، التي تشربها المنحرف عن القواعد القيميَّة للمجتمع، لتحل محلّها المعلومة الصَّائبة التي تستند على قواعد قيميَّة صامدة. تمكن الفرد والجماعة من نيل الاحترام والتقدير والاعتراف من قبل الآخرين الذين يقوِّمون سلوكهم بمقاييس موضوعيَّة معياريَّة دون أي انحياز.

للبرمجيَّة القيميَّة نماذج علميَّة لإحداث التغيير في المستويات القيميَّة للجماعة. ولكن قبل التعرف على تلك النماذج، هناك مجموعة من التساؤلات التي تتطلب الإجابة عليها، ومن أهمها:

1- ما هي مستويات الشخصيَّة التي تستوجب التغيير؟

2- من الذي يحدد المستوى الذي عليه شخصيَّة الجماعة؟

3- ما هي الكيفيَّة التي يتم بها إحداث التغيير في كل مستوى من المستويات السَّابقة؟ والتي عندما يحدث التغيير في إحداها يتبعه بالضَّرورة تغيير مستوى قيمي آخر؟

ولشخصيَّة الأفراد والجماعات خمسة مستويات قيميَّة وفقًا لخماسي عقيل لتحليل القيم هي:

1- المستوى القيمي الذَّاتي.

2- المستوى القيمي التطلُّعي.

3- المستوى القيمي الموضوعيَّة.

4- المستوى القيمي الإنسحابي.

5- المستوى القيمي الأناني.

ولا شكَّ أنَّ لكل مستوى من المستويات الخمس السَّابقة، مجموعة من القيم والمعايير والمقاييس التي تميزه عن غيره.

فإذا كانت الشخصيَّة أنانيَّة أو إنسحابيَّة، فهي في مستوى سلبي، يتطلَّب التغيير إلى مستوى التطلُّعيَّة والموضوعيَّة الموجبين.

لذلك أيّ تغيير سالب في السُّلوك، سيكون تغييرًا موجبًا يرتقي بأصحابه من المستوى السَّالب الذي هم عليه، إلى المستوى الموجب الذي

يجب أن يكونوا عليه، ومن تمّ العمل على إحداث النُّقلة لهم وصولًا إلى المستويين التطلُّعي والموضوعي.

أمَّا الإجابة عن التساؤل: من الذي يحدد المستوى الذي عليه الشخصيَّة؟

إنَّ الذي يحدد المستوى الذي عليه الشخصيَّة، هو:

1 – القيم: التي هي نتاج التفضيلات الاجتماعيَّة المستمدّة من الأديان والأعراف.

2- المعايير: التي هي نتاج القواعد والالتزامات الجماعيَّة المستنبطة من القيم السَّائدة في المجتمع.

3 – المقاييس: ذات الأوزان التي تبين درجات التفضيل من ناحية عدديَّة وكيفيَّة، بما يعود من منافع قيميَّة على الفرد والجماعة أو المجتمع بشكل عام.

وإذا ما اعتبرنا أن المتغيرات السَّابقة، هي مستويات تشكيل شخصيَّة الفرد والجماعة، هذا يقودنا إلى التساؤل التَّالي:

ما هي الكيفيَّة التي يتم بها إحداث التغيير في كل مستوى من المستويات السَّابقة؟ وهل التغيير في إحداها يتبعه بالضَّرورة تغيير الآخر؟

انطلاقا من القاعدة التي تقول: "إنَّ التغيير في المستوى الأدنى، ليس بالضَّرورة أن يؤثر في المستويات الأعلى. وتغيير شيء في المستوى الأعلى، دائمًا ما يُحدث تغييرًا في المستويات الأدنى"[1].

عليه: يعد التركيز على ضرورة وجود تناسق بين المستويات السَّابقة، شرطًا أساسيًّا لإحداث التغيير، أمَّا عدم وجوده فقد يسبب صراعًا داخليًّا في داخل كل فرد من أفراد المجتمع، ومن تمّ ينعكس سلبًا على المجتمع ككل.

وعليه تتأثر الشخصيَّة وتتراتب وفقًا للسُّلم القيم الآتي:

تعتبر المعلومة هي المرتكز الأساسي في علميَّة التغيير؛ فبها تتحدد قيم ومعايير ومقاييس وأفعال وسُلوكيَّات الأفراد.

فإذا تشرب الفرد أو الجماعة معلومات صائبة، فإنَّ ذلك يؤدى إلى اعتناق القيم الموجبة، التي تنعكس في أفعال وسُلوكيَّات موجبة.

أما إذا تشرب الفرد أو الجماعة معلومات خاطئة، فإنَّ ذلك يؤدِّي إلى تدهور القيم والأخلاق والمثل، بما ينعكس في أفعال وسُلوكيَّات سالبة.

لذلك على الأخصائي الاجتماعي تحديد الآتي:

---

[1] هاري ألدر وبيريل هيذر، "البرمجية اللغوية العصبية في 21 يوماً، ترجمة مكتبة جرير". الرياض: مكتبة جرير، الطبعة الخامسة، 2004ف، ص254.

1- تحدد المعلومات الصَّائبة، التي تستوجب التعزيز والتشجيع من أجل الاستمرار عليها، وترجمتها في فعل وسلوك موجب.

2- تحدد المعلومات الخاطئة، التي تستوجب التعديل والتغيير، من أجل علاج الانحراف السَّالب، والعودة بالمنحرفين من أماكن الانحراف إلى بيئاتهم الاجتماعيَّة، وهم متهيئين لأداء وظائفهم الاجتماعيَّة وفقًا لما تحدثه النُّقلة المأمولة.

وعليه فالقيم هي البوتقة التي ينصهر فيها كل ما يرضي أفراد المجتمع وجماعاته من خلال توحُّدهم في المعتقد والعرف والتقليد والثَّقافة، التي تنتج ما يؤثر إيجابيًّا على الشعور والإحساس والذَّوق الرَّفيع، وهذه التي بها تتحدد العلائق، وبها يتم التواصل والتفاعل ونيل الاعتراف والتقدير، وبها تتحدد الهويات والانتماءات. وبمعرفة المهنيَّة للأخصائي الاجتماعي يتم تحديد نوع التغيير الذي تتطلبه الجماعة وفقًا للمجالات القيميَّة المحدثة للنُّقلة وهي:

1- مجال العلائق القيميَّة الاجتماعيَّة:

حيث تتم علميَّة التغيير اجتماعيًّا وفقًا لاثنتي عشرة قيمة، بما يتيح معرفة قوَّة أو ضعف الرَّابطة الاجتماعيَّة التي تجمع بين أعضاء الجماعة الواحدة، وبينها وبين الجماعات الأخرى.

2- مجال العلائق القيميَّة الإنتاجيَّة:

يتمركز التغيير وفقًا لمجال العلائق الإنتاجيَّة، على تعديل أو تثبيت مجموعة من القيم، بما يجعل الفرد والجماعة في حالة تواصل قيمي، مؤسس على معايير ومبادئ ومعطيات تستوجب بذل الجهود؛ لأجل الوصول إلى نتائج أفضل على مستوى علاقاتهم الإنتاجيَّة.

3- مجال العلائق القيميَّة السياسيَّة:

إنَّ تغيير شخصيَّة الفرد أو الجماعة وفقًا لمجال العلائق القيميَّة السياسيَّة، يتطلَّب معرفة اتجاهات أعضاء الجماعة وميولهم ومدى تمسكهم بالقيم التي تكوّن شخصياتهم سياسيًّا أو تهدّها.

4- مجال العلائق القيميَّة النَّفسيَّة:

يتطلَّب التغيير وفقًا لمجال العلائق القيميَّة النَّفسيَّة، إبراز أبعاد شخصيَّة كل فرد وكل عضو في الجماعة، وشخصيَّة كل جماعة من الجماعات، وفقًا للمواقف والأدوار المتعدِّدة والمتباينة من وقت لآخر.

5- مجال العلائق القيميَّة الذّوقيَّة:

يحقّق التغيير وفقًا لمجال العلائق القيميَّة الذّوقيَّة، الرُّقي القيمي في القيم الظاهرة في سُلوك وفعل الفرد والجماعة، أو الكامنة في مشاعر كلّ منهم وأحاسيسهم.

6- مجال العلائق القيميَّة الثَّقافيَّة:

يتطلَّب التغيير وفقًا لمجال العلائق الثَّقافيَّة، التعرُّف على أنماط التفكير القيمي السّائد بين أعضاء الجماعة الواحدة، أو بينها وبين الجماعات الأخرى، باعتبارهم دائمًا في حالة حركة وامتداد فكري، يتأثر بالمزيد المعرفي الذي يثريها ويجعلها قادرة على أن تثري السُّلوك المصاحب لها في كل ظرف.

وعلى الرّغم من صمود القيم ثباتًا، فإنَّها عبر الزّمن تتغيّر، ولكن ببطء شديد في اتجاه ما يؤدِّي إلى التغيير المحدث للنُّقلة والمحقّق للنّهضة، ولقياس ذلك لم تغفل البرمجيَّة القيميَّة عن أهميَّة المعايير لقياس درجة التغيير سواء أكان على المستوى الفردي أم الجماعي أم المجتمعي؛ ولذا فالمعايير تدلُّ على إطارها المرجعي الذي تنتمي إليه، وهو الإطار المستمد من القيم التي يعتنقها الفرد، وتعتنقها الجماعة، ويعتنقها المجتمع، وهي كذلك تستمد من تلك المبادئ والأهداف التي ترسم سياسات المستقبل وإحداث النُّقلة.

ومن هنا فعلى الأخصائي الاجتماعي أن يتفهّم اختيارات الأفراد والجماعات وفقًا لقاعدة: مستوى التفضيل: من خلال معرفة العلائق القيميَّة المتمركزة والمتشتتة، وفقًا للمجالات العلائقيَّة السّت السَّابقة، التي تُشكّل إطارًا مرجعيًّا، ذا معايير يمكن الاستناد عليها، لإحداث التغيير وإحداث النُّقلة.

ولهذا يتطلَّب تغيير المعايير مراعاة الآتي:

1- أن يدرك الأخصائي الاجتماعي مستويات التفضيل لدى كل فرد أو عضو من أعضاء الجماعة، ولدى كل جماعة من الجماعات.

2- أن يدرك أنَّ ما يُفضّله العضو في الجماعة ليس بالضَّرورة أن يكون مفضَّلا لدى غيره من أعضائها؛ لذلك عليه أن لا يجبر أي عضوا من أعضاء الجماعة على تفضيلات لا يفضلها.

3- أن يتدخل الأخصائي الاجتماعي إذا مال الفرد أو الجماعة إلى التفضيل الأناني الذي قد يكون على حساب آخرين، فيقوم بالتوجيه والإرشاد الموضوعي، بما يمكِّن من الاختيار الحرّ، الذي لا يترتَّب عليه ضرر أو ردود أفعال سالبة.

وهكذا فإنَّ الأمر سيؤدِّي إلى تغيير المقاييس التي بها يزن الفرد أو تزن الجماعة مستويات التفضيل سابقة الذّكر، وبها يتم التمكُّن من التمييز بين المهم والأهم، وبين ما يجب وما لا يجب، وبين المفضل والأكثر تفضيلًا.

ولهذا فالمقياس يبين لنا مدى تقدير الفدر أو الجماعة لقيمة المعيار، بدرجات كميَّة تُرتب على ضوئها أولويات الاختيار وأولويات التفضيل على السُلم القيمي للمجتمع؛ حيث يوجد البعض الذي يُفضّل معيارًا بدرجة عالية جدًا، وآخر يفضِّله بدرجة عالية، وثالث يفضله بدرجة متوسطة، ورابع يفضله بدرجة منخفضة، وخامس يفضله بدرجة منخفضة

جدًا، وآخر لا يضعه على درجات السُّلم التفضيلي للقيم التي فضَّلها الآخرين؛ ولذا فلكل قاعدة استثناء.

وفي ضوء ذلك يتدخل الأخصائي الاجتماعي لإحداث التغيير المناسب، في درجات التفضيل المنخفضة، من أجل العودة بها إلى درجات التفضيل العالية، وتفطين الغافلين عن أهميَّة التمسُّك بالقواعد وخطورة الميل أو الانحراف عنها.

إنَّ كل ما سبق ذكره أو سرده هو بهدف تغيير الفعل والسُّلوك؛ ذلك لأنَّ الفعل والسُّلوك لا يعدّ إلا ترجمة للمعلومات والقيم والمعايير والمقاييس التي تتعلق بها؛ الأمر الذي يتطلَّب تغيير وتعديل السُّلوك والفعل السَّالب، وتثبيت وتعزيز الفعل والسُّلوك الموجب.

ويتحدد تغيير الفعل والسُّلوك وفقًا للآتي:

1- معرفة الأخصائي الاجتماعي، للموضوع المسبب في الانحراف السَّلبي.

2- أنْ لا يغفل عن المبادئ التي تُستمد من الإطار المرجعي، سواء أكان الدين أم العرف.

3- أن يعرف مدى توافق هذه المبادئ مع الإطار المرجعي المستمدة منه، وإذا ما اكتشف الانعدام العلائقي بينهما تكون هناك ضرورة تستوجب التغيير وفقًا للإطار المرجعي الذي ينتمي إليه الفرد والجماعة.

4- معرفة الأهداف ذات العلاقة بالمبادئ؛ حيث يتم تغيير الأهداف في ضوء المبادئ التي تعد نقطة الانطلاق لكل أخصائي اجتماعي؛ ومن أهم الأهداف التي يعمل على تغييرها هي تلك الأهداف التي لها علاقة بقيم أعضاء الجماعة ومعتقداتهم وأنماط تفكيرهم السَّالبة.

5- مراعاة قيمتي الزَّمان والمكان، اللتين تتعلقان بمستويات التفضيل القيميَّة ودرجاتها القياسيَّة، مما يسمح للأفراد والجماعات أن يكونوا في فترة زمنية على سُلوك وفعل متماثل مع قيمة ومعيار ما، الأمر الذي يجعل درجته في مرتبة أعلى أو أدنى مما هي عليه في فترة زمنية أخرى.

المستويات القيميَّة المحدثة للنُّقلة:

أوَّلًا: الانتقال بشخصيَّة الفرد أو الجماعة من المستوى الأناني إلى المستوى التطلُّعي، عبر المستوى الذَّاتي؛ حيث إذا كان الفرد أو الجماعة في مستوى قيمي أناني، فإنَّهم يسلكون ويفعلون سلوكًا وأفعالًا أنانيَّة، تجعلهم غير قادرين على اتخاذ القرار السَّليم، بل تجعلهم مقادون وهم عن غير معرفة، ما يجعلهم تبّع لعدم قدرتهم على استيعاب الحدث.

والشخصيَّة الأنانيَّة مع أنَّها على الأنانيَّة فإنَّها تشعر بأنَّها في حالة تميّز لا مثيل له، فلا تُقدّر إلا نفسها، ولا تعتبر الآخرين في شيء، كما أنَّها تتهرب من تحمّل مسؤوليَّاتها، على الرُّغم من مطالبتها بحقوقها، وبالطبع فهي لا تؤدِّي واجباتها، وتعتبر المجتمع هو المسؤول عن إشباع حاجاتها، ولا تقبل بمشاركة الآخرين، ولا تتفاعل معهم، ولا تنظر للعمل على أساس

الواجب، مع أنَّه ضرورة، بل تحب الوظيفة لهذه الضَّرورة ولا تعمل بما يُفيد، وتعد الكسل والبطالة المقنّعة ليست عيبًا، وهي في حياتها غير منتجة ولكن اتكالية[1].

ما يتطلَّب الانتقال بها من المستوى الأناني إلى الذَّاتي، ومن تمّ الانتقال بها إلى المستوى التطلُّعي.

ثانيا: الانتقال بشخصيَّة الجماعة من المستوى الإنسحابي إلى المستوى التطلُّعي، عبر المستوى الذَّاتي؛ حيث تتصف الجماعة الإنسحابيَّة، بتخليها عن بعض القيم والفضائل الاجتماعيَّة التي تميزها عن الجماعات الأخرى.

وعندما تتخلى الجماعة الإنسحابيَّة عن القيم التي تشكّل ذات المجتمع الذي تنتمي إليه، تصبح معارفها وأفعالها وسُلوكيَّاتها على مستوى قيمي أقل تقديرًا من المستوى القيمي لذات المجتمع، ما يجعلها توصف بالإنسحابيَّة (ذاتيَّة تميل إلى الأنانيَّة).

إنَّ الذي يجعلها في المستوى الإنسحابي هو رؤاها ومصالحها وأطماعها الخاصَّة (تخليها عن بعضٍ مما يجب وأخذها ببعضٍ مما لا يجب)، فهي الجماعة التي لا تهمها كل القيم الاجتماعيَّة، إذ لا يهمها إلَّا ما تراه بمقاييسها الخاصة أنَّه مفيد ووفقًا لما يعود عليها من منافع، حتى وإن كانت

---

[1] عقيل حسين عقيل، حليمة الصادق خليل، خدمة الجماعة رؤية قيمية معاصرة. ص 128.

على حساب آخرين[2]. وهذا الأمر يستوجب من الأخصائي الاجتماعي أن ينتقل بها من مستوى الانسحاب الذي هي عليه إلى مستوى الذَّات ومستوى التطلُّع الإيجابي.

ثالثًا: الانتقال بشخصيَّة الأفراد من المستوى الذَّاتي إلى المستوى الموضوعي، عبر المستوى التطلُّعي؛ ذلك أنَّ الفرد الذَّاتي أو الجماعة الذَّاتيَّة، هم الذين يتكونون عندما يحس كل عضو منهم وكأنَّه الجماعة بحالها، ومن هنا تحس الجماعة وكأنَّها الفرد بوحدتها؛ ولذا فإنَّ الذَّات مكوّن قيمي مشترك، يجعل أفرادها يسلكون ما يُرضي الأخلاق والعقل الجماعي؛ وذلك لأجل نيل التقدير والاحترام الذي يسعى كل عضو من أعضاء الجماعة الذَّاتيَّة إلى نيله؛ ولهذا فإنَّ الاتصاف بالذَّاتيَّة يدل على أهميَّة التفاعل الاجتماعي في خلق مكوّن قيمي بين أفراد الجماعة، ما يجعل الذَّات المفردة تعبر عن النحن الجمع[1].

أمَّا مستوى الشخصيَّة الذَّاتيَّة الذي يستوجب التغيير هو عندما تنغلق الجماعة على ذاتها ولا تقيّم الأمور إلا من خلالها، وتنظر للآخرين بمنظور الدُّونيَّة، وتقصر تفكيرها على ما يفيد أعضائها حتى ولو كان على حساب غيرهم؛ لذا ينبغي نقلها من هذا المستوى إلى مستويات تطلُّعيَّة وموضوعيَّة تعتمد العقل والحجَّة والمنطق في التفكير.

---

[2] المرجع السابق. ص 126- 127.

[1] المرجع السابق، ص121.

تحديد الأهدافُ:

الأهداف أولويَّات معرفيّة قابلة للإنجاز، ولا تكون إلّا عن وضوح رؤية أو خطة أو استراتيجيَّة، والمقاصد تكمن من ورائها، سواء أكانت مقاصد شخصيَّة، أم وطنيَّة، أم إنسانيَّة، وهي: قابلة للتحديد والإنجاز حسب الجهد، والإمكانات المتاحة.

إنَّها المدى الممتد من الرّغبة إلى المأمول، ولا تحدّد السياسات، والاتجاهات العلميَّة والفكريَّة إلّا بها، ولا يتم الإنجاز المصنّف القابل للقياس إلّا بوضوح رؤية من حدّدها.

فالأهداف هي ذلك المرجو إنجازا سواء أكان الإنجاز بحثا علميّا أم عملا أم أيّ مقصد من المقاصد المعلومة؛ ولهذا فالأهداف تحدّد بوضوح ودقة؛ لتكون مرشدة لمراميها.

فالأهداف هي التي تحدّد وفق الإمكانات من قبل الذين يأملون إنجاز ما يمكن إنجازه علما أو معرفة أو بناء وإعمارا وصناعة مستقبل، وهي لا تكون محدّدة إلّا بعد وضوح رؤية تجاه ما يجب الإقدام عليه؛ ولهذا فالصّراع بين بني آدم لن ينتهي بين البناة رُقيّا، والهادمين له انحدارا، ما لم يضع الجميع نصب أعينهم أهدافا قابلة للإنجاز، من ورائها أغراض قابلة للتحقّق، وغايات يجب أن تُبلغ، ومأمولات يتمّ نيلها.

وعليه:

إنّ تحديد الأهداف يُمكّن من إنجازها بنتائج وحلول موضوعيَّة، ويوجّه الباحثين إلى ما يمكن إنجازه دون إضاعة للوقت أو الجهد، ودون أيّ إهدار للإمكانات، وهي تلفت الباحثين والعاملين على إنجازها إلى أهميَّة الموضوع أو القضية التي هم يعملون أو يضحّون من أجلها.

والأهداف ليست أمنيات، بل هي المرشد الحقيقي للباحثين في ميادين البحث العلمي، والسّاعين إلى الارتقاء مهنة وعلما ومعرفة وإنتاجا وحرفة؛ ولهذا فلا يمكن أن تنجز المهام والأعمال والخطط والاستراتيجيَّات على أيّ مستوى من المستويات الفرديَّة والجماعيَّة والمجتمعيَّة وأيّ مستوى من المستويات السياسيَّة والاقتصاديَّة والمعرفية ما لم تحدد لذلك أهداف قابلة للإنجاز.

ودائما عندما تحدّد الأهداف تصبح رؤية المحدّدين لها واضحة المرامي والأغراض، وفي المقابل من لا يتمكّن من تحديد أهداف بحثه أو سياسته أو تنظيمه فلن يستطيع أن ينجز شيئا يمكن أن يكون على الأهميَّة المرجوة ومن هنا فإنَّ أهداف مهنة الخدمة الاجتماعيَّة تتمركز على:

أهدف وقائيَّة.

أهداف علاجيَّة.

أهداف تنمويَّة.

وعليه فإنَّ مفهوم إنجاز الأهداف يعني بلوغ نتيجة كانت مفترضة، والهدف هو الوحيد الدَّافع إلى الإنجاز وفقًا لقراءة موضوعيَّة؛ ولهذا فالأهداف أولويَّات معرفيَّة قابلة للإنجاز، ولا تكون إلّا عن وضوح رؤية أو خطة أو استراتيجيَّة، ومن ورائها تكمن مقاصد كثيرة، سواء أكانت مقاصد شخصيَّة، أم وطنيَّة، أم إنسانيَّة، وهي: قابلة للتحديد والإنجاز حسب الجهد، والإمكانات المتاحة.

إنّها المدى الممتدّ من الرّغبة إلى المأمول، ولا تحدّد السياسات والاتجاهات العلميَّة والفكريَّة إلّا بها، ولا يتم الإنجاز المصنّف القابل للقياس إلّا بوضوح رؤية من حدّدها.

والأهداف هي ذلك المرجو إنجازا سواء أكان الإنجاز بحثا علميّا، أم عملا، أم أيّ مقصد من المقاصد المعلومة؛ ولهذا فالأهداف تحدّد بوضوح ودقة، لتكون مرشدة لمراميها بلا غفلة.

فالأهداف هي التي تحدّد وفق الإمكانات من قبل الذين يأملون إنجاز ما يمكن إنجازه علما أو معرفة أو إصلاحا وبناء وإعمارا وصناعة مستقبل، وهي لا تكون محدّدة إلّا بعد وضوح رؤية تجاه ما يجب الإقدام عليه؛ ولهذا فالصّراع بين بني آدم لن ينتهي بين المفسدين والمنحرفين والمصلحين ما لم يضع الجميع نصب أعينهم أهدافا بنائيَّة قابلة للإنجاز، من ورائها أغراض قابلة للتحقّق، وغايات يجب أن تُبلغ، ومأمولات يتمّ نيلها. ولأنّ الخالق خلقنا على الاختلاف وسنظل عليه مختلفين في خصوصياتنا وفي آمالنا

وإن اتفقنا في بعض منها، فلا إمكانيَّة للقضاء على الاختلاف؛ مصداقًا لقوله تعالى: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاس أُمَّة وَاحِدَة وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِيْنَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ}1.

ومن ثمَّ فالاختلاف الذي خُلقنا عليه وسنظل عليه مختلفين قيمة، هو: اختلاف التنوّع المشبع للحاجات المتطوّرة عن رغبة وإرادة، ولكن هذا الإشباع لا ينبغي له أن يكون على حساب ما يشبع حاجات الآخرين؛ ولذلك يجب أن تحدّد الأهداف والأغراض والغايات بعيدا عن كلّ ما من شأنه أن يؤدِّي إلى الخلاف الذي فيه الاقتتال والفتنة، أي: ينبغي للأهداف أن تحدّد وفقًا لما يصلح الأفعال ويقوِّم السُّلوك ويجمع شمل المتفرّقين، ويحلّ تأزُّماتهم، ويشبع حاجاتهم المتطوّرة تحدِّيا وعدلا وارتقاء.

فمن أجل الارتقاء قمّة، ينبغي الابتعاد عمّا يؤدِّي إلى الاقتتال والفتن؛ فالاقتتال والفتن ضياع فرصة، والزّمن لا يعطي الفرصة مرّتين؛ فيجب عدم إضاعة الفرص كلّما سنحت الظّروف ارتقاء، ومن يضيعها سيجد نفسه على غفلة من أمره، وحينها لن ينفعه النّدم؛ فالنّدم عندما تضيع الفرص قد يؤدِّي بأصحابه إلى الهاوية، ولكن إن كانت الفرص ما زالت سانحة؛ فالنّدم يؤدِّي إلى تصحيح المواقف الخاطئة بمواقف صائبة، أي: متى ما ضعف الإنسان انحدر غفلة، ومتى ما قوي ارتقاء تذكّر؛ فاتّعظ

1 هود 118، 119.

واعتبر، ومتى ما تدبّر، عمل وأنتج، ومتى ما فكّر، حدّد أهدافا من ورائها أغراض، والغاية من ورائها مأمول يتم نيله.

وعليه:

إنّ تحديد الأهداف يُمكّن من إنجازها بنتائج وحلول موضوعيَّة، ويوجّه الأخصائيين والباحثين إلى ما يمكن إنجازه دون إضاعة للوقت أو الجهد، ودون أيّ إهدار للإمكانات؛ ولهذا:

. حدّد أهدافك قبل أن تبحث أو تعمل.

. وضّح أهدافك للغير إذا كانوا على علاقة بها.

. فكّ اللبس أو الغموض عن كلّ مفهوم من مفاهيم أهدافك.

. ثق أنَّ الأهداف تنجز؛ فلا تتأخّر عن العمل على إنجازها.

. تحديد الأهداف يدلّ على وضوح الرّؤية.

. غموض الأهداف لا يؤدِّي إلى تحقيق نتائج.

. تحديد الأهداف يمكّن من التدبّر.

. إنجاز الأهداف يتطلَّب جهدا يبذل عن رغبة.

. إنجاز الأهداف يتطلَّب صبرا وعزيمة.

. إنجاز الأهداف يستدعي وعيا بأهميّتها.

إنجاز الأهداف العظيمة يستوجب قبول تحدٍّ وتحدّيه.

ولهذا وجب التدبّر الذي ترسم سياساته وفقًا لأهداف واضحة؛ وذلك بما يبعد بني آدم عن الجلوس على رصيف المتسوّلين؛ فالتسوّل يؤخّر أصحابه عن الالتحاق بركب من يحدِّدون أهدافهم وأغراضهم وغاياتهم بأمل تحقيق الرّفعة والارتقاء قمّة ومن ثمّ نيل المأمول.

وفي المقابل لا ينبغي للعاطفة أن تجرّ أصحابها إلى المسالك التي تجعل من الغير معتمدا على الغير اتكاليَّة، ووفقًا لهذه القاعدة الأخلاقية لم ينجرَّ الأخصائيون الاجتماعيون إلى دعم مواقف المتسوّلين (الذين يتخذون التسوّل مصدرا للعيش)، بل العقل المتدبّر لأمره يجب أن يدفع أصحابه إلى ما يمكّن المتسوّلين من المشاركة في العمل المنتج، الذي يحفّزهم على تنمية قدراتهم، وتوجيهها وفقًا لما يحقّق لهم الارتقاء نهضة ورفعة؛ فيخلّصهم من التسوّل إرادة وعملا، وكذلك لا ينبغي لبني آدم أن يضعوا أنفسهم في مواقف الاستعطاف، ولا ينبغي لهم الأخذ بالعاطفة فيما يؤسّس ترسيخ الفضائل والقيم الحميدة، وإنجاز الأهداف.

وعليه: فإنَّ الأهداف ليست بأمنيات، بل هي المرشد الحقيقي للأخصائيين والباحثين في ميادين البحث العلمي، والسّاعين إلى الارتقاء مهنة وعلما ومعرفة وإنتاجا وحرفة؛ ولهذا فلا يمكن أن تنجز المهام والأعمال والخطط والاستراتيجيَّات على أيّ مستوى من المستويات الفرديَّة والجماعيَّة

والمجتمعيَّة وأيّ مستوى من المستويات السياسيَّة والاقتصاديَّة والمعرفيَّة ما لم تحدد لذلك أهداف قابلة للإنجاز.

ودائما عندما تحدّد الأهداف تصبح رؤية المحدّدين لها واضحة المرامي والأغراض، وفي المقابل من لا يتمكّن من تحديد أهداف بحثه أو سياسته أو تنظيمه فلن يستطيع أن ينجز شيئا يمكن أن يكون على الأهميَّة المرجوة.

وعليه:

. الأهداف ليست أمنيات كُسالى، بل هي التي تحمل في أحشائها الموضوع أو المشكل برمّته.

. الأهداف لا تحدّد بدقّة إلّا من قِبل الجادّين.

. الأهداف تنجز أوَّلًا بأوَّلٍ.

. الأهداف تهدي الباحثين وترشدهم إليها مثلما تهدي المنارات سفن المبحرين.

. الأهداف لا تحدّد إلّا من قبل القادرين على إنجازها.

. يعد تحديد الأهداف كسر فيما كان يظن أنّه صعبٌ لا يكسر.

. ويعد إنجاز أوّل الأهداف أكبر لبنة لبناء المستقبل المأمول.

. الأهداف العظيمة تؤسّس وضوحا وإنّها قابلة للإنجاز.

ولهذا فتحديد الأهداف لم يكن غاية في ذاته، بل هو ضرورة لطي الهوة بين من كانت لهم أهداف والمستهدف منها؛ فالأهداف ترتّب أوّلًا بأوّل؛ ذلك لأنّ إنجازها متتالٍ ومتلاحق، وهي بعد الإنجاز تفتح آفاقا جديدة لصوغ أهداف جدية لا تتولّد إلّا من بعد الإنجاز السّابق للأهداف السَّابقة عليها.

ومع أنَّ البداية تعد نقطة الصّعوبة، فإنَّها في النّهاية لا تعد نقطة الاستحالة؛ فالتعلّم بداية تواجهه المصاعب كما تواجه علميَّة التذكّر والتدبّر والتفكّر والإبداع، ولكن نهاية الأهداف تنجز، والأغراض تتحقّق، والغايات تُبلغ، والمأمولات تُنال.

ولأجل ذلك ينبغي أن نميّز بين تحديد الأهداف وإنجازها، وتحديد الأغراض وتحقيقها، وتحديد الغايات وبلوغها، وتحديد المأمولات ونيلها؛ فالأهداف تحدّد لتنجز أوّلًا بأوّل، وهي في دائرة الممكن المتوقَّع عندما تكون متطوّرة ومتجدّدة لا تنتهي إلّا بانتهاء من يعمل عليها؛ ولهذا فلا توقّف بعد إنجاز الأهداف، بل ينبغي لنا تحديد أهداف أهم من التي أنجزت، ثمّ من بعدها أهداف أعظم، وهذه من سُبل تحقيق الارتقاء غاية.

ولأنَّها أهداف تنجز؛ فلا تكون ذات أهميَّة إلّا ومن ورائها أغراض، ثمّ من وراء الأغراض غايات عظيمة، ولهذا لا ينبغي للأهداف أن تكون غاية في ذاتها، بل يجب أن تكون الغايات من ورائها رفعة.

إنَّ قاعدة تحديد الأهداف مؤسّسة على الإنجاز، وإلّا لا داعي لتحديدها، أي: كلّ ما أنجز بنو آدم هدفا ينبغي أن يكون من ورائه هدف أهم، ثمّ من ورائه هدف أكثر أهميَّة، ووراء كلّ هدف غرض من ورائه غرض أعظم، وهكذا هي سُبل تحقيق الارتقاء غاية ومن ورائها غاية ومن ورائها مأمول عظيم.

ولذلك في دائرة الممكن غير المتوقَّع البعض يحدّد أهدافه، ولكنّه لا يعمل على إنجازها وكأنَّ تحديدها هو الغاية؛ وكذلك هناك من يحدّد أهدافه ويعمل على إنجازها دون أن تكون له أهداف من بعدها، وهنا يكمن الفشل أمام تطوّر الحاجات وتنوّع مشبعاتها؛ فالأهداف ارتقاء ينبغي أن يكون من ورائها غرض تكمن من ورائه غاية ومن ورائها مأمول.

ومن ثمّ ينبغي على الأخصائيين الاجتماعيين عند رسم السياسات أن يجعلوا وراء كلّ هدف غرضا، من ورائه أغراض تحقّق للعملاء الكرامة الآدميّة رفعة، وتحقّق لهم العيش السّعيد قيمة؛ ولكن إن لم يعملوا ويفعلوا فلا شيء لهم إلّا البقاء على الرّصيف بين حاجة وشُبهة، وهنا يكمن الانحدار علّة.

الأهداف المهنيَّة المحقِّقة النُّقلة

النُّقْلَة مفهومٌ يعبّر عمّا حدث من تغيُّر وتغييرات كان لها الأثر الرّفيع في تحسين الأحوال وتجويدها، ونقل أصحابها من المستويات والخانات الدنيا إلى مستويات عليا، وبالمقارنة بين ما كان وما أصبح الإنسان عليه يلاحظ الفرق الشاسع؛ والنُّقْلَةُ من المعنويَّات كالتطوُّر والطفرة؛ لأنَّها الاسم نفسه.

والنُّقلة غير النَّقلة؛ لأنَّ النُّقلة تطلق على الأثر الرّفيع الذي ظهر على من أصبح معرفيًّا وثقافيًّا على غير ما كان عليه سُفليّة ودونيّة.

أمَّا النَّقلة: فهي ترتبط بالمحسوس المادّي، كنقلة بضاعة، أو نقلة ركّاب، أو أيِّ شيء يمكن أن يُشحن؛ وهي اسم مرّة من النَّقْل، يقول العسكري: النَّقلة لا تكون إلَّا عن مكان، وهي التحول منه إلى غيره[2]

ولهذا يلاحظ استخدام كلمة النَّقلة في غير مكانها، أي: إنَّها تستخدم من الكثيرين فيما ينبغي أن تستخدم فيه كلمة النُّقْلَة النوعيَّة.

وأقول لمن يرغب بلوغ النُّقلة: إنَّ تحدّي الصّعاب يحقّق النُّقلة النّوعية، ويمكّن من تجاوز المستويات القيميَّة الثلاثة: (الذاتية والإنسحابيَّة والأنانية) إلى المستوى القيمي التطلّعي والمستوى القيمي الموضوعي، اللذين يعتمد فيهما الإنسان على المنطق والعقل حُجّة في الحوار، وحجّة في استقراء

[2] أبو هلال العسكري، الفروق اللغويَّة، دار العلم والثقافة، القاهرة، تحقيق محمَّد إبراهيم سليم، ص 147.

واستنباط الأمور المتعلّقة بالعلائق الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة والسياسيّة وبالعلائق النفسية والذوقية والثقافية.

ولأنّ تحدّي الصِّعاب يمكّن من إحداث النُّقلة النوعيّة؛ فإنّ النُّقلة تحقّق التميّز والمكانة الرّفيعة والمنزلة العالية لمن يتحدّى الصِّعاب من أجل مأمول عظيم.

أمّا الذين يعانون من حالات إنسحابيَّة فأمرهم غير ذلك. فهم يحتاجون إلى دراسة حالاتهم وتحديد مستوياتهم القيميَّة التي هم عليها، ثمّ إعادتهم لِما يجب، ثمّ بعد ذلك نقلهم إلى ما يُسهم في تحقيق المستقبل الأفضل والأجود الذي يحفِّزهم على تحدّي الصِّعاب ويحقّق لهم النُّقلة.

فدفع الأفراد للتعامل بأسلوب ديمقراطي مع بعضهم بعض ومع الآخرين في كلّ ما يتعلّق بهم من أمر سواء أكان هذا الأمر علائق أسريَّة أم علائق جيرة أم عمل أم سياسة داخليّة أو خارجيّة أم أمر سلم أو حرب أو أيّ أمر من أمورهم الاجتماعيَّة يمكّنهم من بلوغ النُّقلة النوَّعيّة، وهكذا بالتمام تفطين المجتمعات والفئات الاجتماعيَّة إلى أهميّة الاستيعاب في تبادل المعارف والعلوم والمكاسب التي تنمو بالجهود المشتركة والتعاون والاستيعاب المتبادل يمكّنهم من إحداث النُّقلة.

وعليه: فإنَّ إحداث النُّقلة ليس مستحيلًا ولا معجزًا، بل إنَّه في دائرة المتوقّع وغير المتوقّع ممكنٌ، فَلِمَ لا يتم الإقدام على كلّ ما من شأنه أن يحدث النُّقلة ويحقّق الرّفعة ارتقاءً؟

أقول: لا غاية من وراء مبادئ وأهداف الخدمة الاجتماعيَّة وقيمها الخيِّرة إلَّا التغيير إلى الأفضل والأجود والأنفع ، ولهذا ورد في معايير الخدمة الاجتماعيَّة للقوى العاملة في أمريكا تعريف الاتحاد القومي للأخصائيين الاجتماعيين الأمريكي (NASW) بأنَّ الخدمة الاجتماعيَّة هي: النشاط المهني لمساعدة الأفراد والجماعات والمجتمعات لتعزيز وتدعيم قدراتهم على أداء وظيفتهم الاجتماعيَّة، وإيجاد ظروف اجتماعيَّة مواتية ومؤيدة لهذا الهدف، وتتألف ممارسة الخدمة الاجتماعيَّة من التطبيق المهني لقيم الخدمة الاجتماعيَّة ومبادئها ووسائلها الفنية لواحد أو أكثر من الغايات التالية:

1 ـ مساعدة الأفراد في الحصول على خدمات ملموسة وفعَّالة.

2 ـ تقديم المشورة والعلاج النفسي للأفراد والأسر والجماعات.

3 ـ مساعدة المجتمعات والجماعات على تقديم أو تحسين الخدمات الاجتماعيَّة والصّحيَّة.

4 ـ المشاركة في عمليَّات وضع التشريعات المتعلّقة بالنواحي الاجتماعيَّة.

ومع أنَّ هذا التعريف جاء بغاية التغيير إلى الأحسن، فإنَّه لم يكن دالًّا أو مشيرًا إلى التغيير إلى الأجود والأفيد؛ ولذا فلا يدلُّ على التغيير إلى كل ما من شأنه أن يحقّق الرّفعة والنّهضة ويمكّن من إحداث النُّقلة.

وعليه: فإنَّ الخدمة الاجتماعيَّة مهنة تأسست على قيم ومبادئ مستمدَّة من نظريات اجتماعيَّة ونفسيَّة يمارسها أخصائيون اجتماعيون معدّون إعدادًا علميًّا وفنيًّا ومهارتيًّا على كيفيَّة التعامل موضوعيًّا وسُّلوكيًّا مع الحالات الفرديَّة والجماعيَّة والمجتمعيَّة بعد دراستها دراسة موضوعيَّة وافية، والأهداف المهنيَّة المحقّقة للنُّقلة هي.

هدف تدعيم رأس المال الاجتماعي:

لا شكَّ أنَّ الأفراد والجماعات والمجتمعات ذات روابط قيميَّة ولا تكون إلَّا من نسيج القيم الخيِّرة والفضائل الحميدة والأعراف والتقاليد التي تنال تقدير الأفراد والجماعات، ولهذا فإنَّ تدعيم رأس المال الاجتماعي هو: (تدعيم القيم الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة والسياسيَّة والثَّقافيَّة والذّوقيَّة والنَّفسيَّة لدى أفراد المجتمع بما يحقّق لهم التفاعل الاجتماعي المتوازن ويقوّي إرادتهم ويهيئهم إلى المشاركة ويحفّزهم على ممارستها من أجل تحقيق مستقبل أفضل هم في حاجة إليه).

ويحتوي هدف (تدعيم رأس المال الاجتماعي) القواعد القيميَّة الآتية:

- تدعيم القيم الاجتماعيَّة.
- تدعيم القيم الاقتصاديَّة.
- تدعيم القيم السياسيَّة.
- تدعيم القيم الثَّقافيَّة.

- تدعيم القيم الذّوقيَّة.

- تدعيم القيم النَّفسيَّة.

- التفاعل الاجتماعي.

- التفاعل المتوازن.

- تقوية الإرادة.

- التهيئة إلى المشاركة.

- التحفيز على المشاركة ممارسة.

- تحقيق مستقبل أفضل.

وعليه: فإنَّ الأخذ بالقيم الحميدة يدعم رأس المال الاجتماعي وفقًا للمجالات القيميَّة الآتية:

1 – مجال العلائق القيميَّة الاجتماعيَّة: وذلك بتدعيم قيم (المجتمع الإنساني، والأمّة، والوطن، والمجتمع المحلي، والأسرة، والزّوجيَّة، والأخلاق، والكرم، والصداقة، والجنس الآخر، والسُّلوك الاجتماعي)؛ حتى يتمكّن أفراد المجتمع من تكوين علائق موجبة بينهم، ومع الآخرين الذين يشكِّلون بيئات اجتماعيَّة في محيطهم الإنساني ولهم من العلوم والمعارف والثقافات والحضارات ما يفيد كل من الأنا والآخر.

ومن ثمَّ وجب على الأخصائي الاجتماعي أنْ يرسّخ في ذهن العميل الذي يتولّى دراسة حالته أهميَّة:

. اندماجه في المجتمع الذي ينتمي إليه، ولا ينسحب من ميادينه القيميَّة.

. يكوّن أصدقاء ليزداد ألفة ومحبة.

. يكوّن أسرة ليزداد احترامًا ويتوَّج أبًا أو أمًّا.

. يقدّر الآخرين يقدّر.

. يستوعب الآخرين يتم استيعابه.

. يستمسك بانتمائه الوطني إذا أراد نيل الاعتبار.

. يكن على خلق إذا أراد نيل الاحترام.

. يكُن كريما فالكرم فضيلة بين النَّاس.

2 – مجال العلائق القيميَّة السياسيَّة: وذلك بتدعيم قيم (الفكر، والسياسة، والسُّلطة، والموقع، والاستقلاليَّة، والحريَّة)؛ التي تُمكِّن الأفراد والجماعات والمجتمعات من اتخاذ قرارات واعية، وتمكّنهم من التنفيذ والمتابعة والتقويم والمراجعة والتصحيح.

وعليه:

. فكّر قبل أن تقدم على الفعل أو السُّلوك، وقارن حتى تتبيَّن عن وعي.

.كُن ليِّنا إذا أردت أن تمارس حقوقك مع الآخرين.

. مارس سلطتك في كلِّ ما يتعلّق بك من أمرٍ ولا تتردَّد حتى لا تُحرم من حقِّكَ في السِّيادة.

– اعمل وفقًا لقدراتك واستعداداتك وإمكاناتك لتصبح الشخص المناسب في مكانك المناسب.

. تحمَّل أعبائك بنفسك ولا تلقها على كاهل الآخرين.

.كُن حرًّا ولا تقيّد حرِّيَّة الآخرين أو تعيقهم أثناء ممارستها.

3 – مجال العلائق القيميَّة الإنتاجيَّة: وذلك بتدعيم قيم (الاقتصاد، والإبداع، والعمل، والتقنية، والإنجاز)؛ ليكون الأفراد منتجين وقادرين على الخلق والإبداع وعلى دخول سوق المنافسة التي لا يفوز فيها إلَّا من تأهَّل وكسب، وله مهارات متنوِّعة وخبرات متعدِّدة، وله قدرات واستعدادات هائلة.

وعليه:

. أنتج إذا أردت التحدّي ومنافسة الآخرين.

. أبدع إذا أردت إحداث النُّقلة.

. اعمل أذا أردت أن تعيش بكرامة.

. امتلك التقنية إذا أردت أن تكون على ما يجب.

– خطط وفقًا لما رسمته من أهداف واعمل على إنجازها حسب الخطّة وقوّم حتى تصنع لك مستقبلًا.

4 . مجال اللائق القيميَّة النَّفسيَّة: وذلك بتدعيم قيم (الشخصيَّة، وإثبات الذَّات، والضمير، والواجب، والحقيقة، والواقع، والعلاقة الجنسيَّة)؛ ليعيش أفراد المجتمع حياة الطمأنينة والأمن ويتمكَّنوا من التفاعل الموجب والتعاون الذي يغرس الثِّقة في نفوسهم ويحقّق لهم النُّقلة.

وعليه:

. حافظ على شخصيَّتك فيما تقول وما تفعل وما تسلك.

. تمسّك بقيم المجتمع الذي تنتمي إليه إذا أردت أن تثبت ذاتك.

. حكّم ضميرك إذا أصبحت حكما بين النَّاس.

. أدي واجباتك إذا أردت أن تكون مواطنا حرًّا.

. تمسَّك بالحقيقة حتى وإن خالفك البعض.

. تفهّم الظروف وقدّر أصحابها.

. إبداء مع النَّاس من حيث هم ولا تتجاهل الواقع الذي هم عليه.

. كوّن علائق حسنة دون أن تكون على حساب الغير.

5 ـ مجال العلائق القيميَّة الذّوقيَّة: وذلك بتدعيم قيم (الوجود، والدين، والسّعادة، والجمال، والفن، والأدب، والطبيعة)؛ من أجل خلق بيئة صالحة للإبداع الذي يُحفّز على الرّفعة الذّوقيَّة في القول والفعل والسُّلوك.

وعليه:

ـ الوجود حقّ فلا تنسى نصيبك منه.

ـ إذا أردت أن يكون لك إطارٌ مرجعيٌ راقيٌ فلا تغفل عن الفضائل الخيِّرة والقيم الحميدة.

ـ إذا أردت أن تكون سعيدًا أرضي ضميرك واخشي خالقك.

ـ إذا أردت أن ترى الجمال فانظر إلى الجميل واعمل ما هو أجمل.

ـ إذا أردت الانسجام نفسا وجسدا عليك بالإنصات للفن الرَّفيع.

ـ إذا أردت أن تزداد حلاوة فيما تقول فعليك بصدق القول.

ـ إذا أردت أن تشفى من الهم والغم فأخشى الله قولا وعملا وسلوكا.

ـ إذا أردت النزهة النَّفسيَّة فلا تترك ديونًا عليك.

ـ أطلق بصرك حرًّا إلى الطبيعة يأتيك الجمال شوقًا ورغبة.

6 ـ مجال العلائق القيميَّة الثَّقافيَّة: وذلك بتدعيم قيم (الثَّقافة، والعلم، والتحصيل، والصّحة، والطّعام، والوقت، والرّياضة)؛ حتى يتحقّق الرُّقي

الحضاري الذي به يتمكّن أفراد المجتمع من دخول ميادين المنافسة في المعرفة والبناء.

وعليه:

. تثقف فالثَّقافة تنير العقل.

. تعلّم واعمل إذا أردت أن تسابق الزَّمن ويُنظر إليك مقدَّرًا.

. تحدّى الصِّعاب فالصِّعاب لا تصمد أمام المتحدّين.

. تطلَّع إلى المعارف الرَّاقية تزدد ارتقاء.

. استوعب الغير وقدّره يأت إليك مستوعبًا ومقدّرًا.

. حافظ على صحتك وسلامة نفسك ولا تلق بها إلى التهلكة.

. انتقِ الطعام المناسب لحالتك الصّحيَّة، حتى تكون قادرًا على أداء العمل المنتج.

. إذا أردت أن تكون على عقلٍ سليم وجسم سليم فعليك بممارسة الرياضة وفقًا للاستطاعة.

. اقطع الوقت إدارة حسنة قبل أن يقطعك فشلًا.

. كن متوازنا وإرادتك بين يديك تصنع لك مستقبلًا.

ولهذا فالانسحاب عن القيم يضعف الرَّوابط الاجتماعيَّة ويفسح المجال القيمي أمام الانحلال والتفسُّخ، فعلى الأخصائي الاجتماعي أن

يعمل على استثمار القيم وأن يحرِّض على التمسّك بها لترسيخ الأخلاق الإنسانيَّة الفاضلة حتى يتمكّن أفراد المجتمع من تكوين علاقات على المستوى الأسري ومستوى المجتمع المحلي والمستوى الوطني ومستوى الأمّة حتى بلوغ المستوى الإنساني.

وعليه:

– استثمر القيم فيما يجب من تربية وعلوم وتقنية وصحة وتخطيط وتنفيذ ووحدة وطنية وسياسة واقتصاد وعلائق اجتماعيَّة وإنسانيَّة بين الأفراد والجماعات والمجتمعات.

– استثمر عقلك فالعقل قوَّة لا ينبغي الإغفال عنه، واعرف كيف تستثمره؟ ومتى؟ وأين؟

. استثمر قدراتك، واعمل على تطويرها وتنميتها بالمعلومة والخبرة.

. استثمر إمكاناتك المتاحة والمتوفّرة حتى تنمو لتستثمر فيما يجب.

. استثمر مهاراتك واعمل على تنوّعها حتى تستطيع دخول ميادين المنافسة بلا مخاوف.

. استثمر مواهبك حتى تتعرَّف على المداخل العلميَّة والموضوعيَّة لصناعة المستقبل وإحداث النُّقلة.

واعلم أنَك إذا استثمرت كلّ ذلك بإرادة وموضوعيَّة ستنجز أهدافك في الحياة، وتنال التقدير والاحترام من الآخرين الذين يدخلون معك ميادين المنافسة الحرّة بلا تردّد.

وبما أنَّ ترسيخ القيم يقوّي الرَّوابط الاجتماعيَّة بين الأفراد والجماعات والمجتمعات؛ فإنَّ الانسحاب من القيم يضعف الرَّوابط الاجتماعيَّة بين الأفراد والجماعات والمجتمعات.

لذا فإنَّ دور الأخصائي الاجتماعي ووفقًا للبرمجية القيميَّة لمهنة الخدمة الاجتماعيَّة أن يعمل على ترسيخ القيم بين العملاء سواء أكانوا أفرادا أم جماعاتٍ أم مجتمعات؛ وذلك بالعمل مع المنسحبين من قيم المجتمع وأخلاقياته لأجل العودة بهم إلى القواعد الموجبة التي يرتضيها المجتمع من خلال المشاركة في لعب الأدوار التي تناط بهم، ومن أجل ممارسة حقوقهم وتأدية واجباتهم وحمْل مسؤولياتهم بإرادة.

ولهذا ينبغي أن تُستثمر القيم في تنظيم الحياة وتهذيب الأخلاق أينما وجد الإنسان أو حلَّ وفي كلِّ الميادين الاجتماعيَّة والإنسانيَّة؛ ذلك لأنَّ استثمار القيم يدعم رأس المال الاجتماعي.

قال نيلسون مانديلا في خطابه الذي ألقاه في حفل تنصيبه رئيسًا لجنوب أفريقيا عام 1994م: "إنَّ أعمق مخاوفنا لا تكون لأنَّنا غير أكفاء.

بل أعمق مخاوفنا تكون لأنَّنا أقوى مما يمكن تقديره، فالذي يخيفنا هو نورنا وليس ظلمتنا"[3].

وعليه:

استثمر قدرتك.

استثمر قوّتك.

أيقظ طاقاتك الدفينة.

وجّه عاطفتك لِما يُفيد.

تابع عن وعي ما يجري من حولك.

ثق أنّك تمتلك المقدرة فأحسن توجيهها.

انظر إلى الأمام فالمستقبل ليس بعيدا.

أنجز أهدافك أوّلًا بأوّل تصل إلى ما تريد بسلام.

ثق أنَّ النّور في خلقك فلا تسئ لنورٍ خُلق فيك.

أخرج من نورك نورا يهديك صوابا ويرشد الآخرين.

بناء على ما تقدَّم يترتَّب دعم الرأسمال الاجتماعي على الآتي:

---

[3] Democracy and Governance Review: Mandela's Legacy 1994–1999. Pretoria: Human Sciences Research Council Press. P 67.

1- ممارسة الحقوق.

2- أداء الواجبات.

3- حمْل المسؤوليَّات.

4- المشاركة في اتخاذ القرار.

5- المشاركة في تنفيذ القرار.

6-المشاركة في متابعة القرار وتقويمه.

7 . تقييم الجهود.

8 . تقويم الفعل والعمل والسُّلوك.

هدف تدعيم قيم التطلُّع:

وذلك بغاية (تحفيز الأفراد والجماعات على مواجهة الصِّعاب وتحدِّيها دون انفلات من القيم الخيّرة للمجتمع حتى يهزمها العمل الذي يدفع إلى مزيدٍ من العطاءِ في سبيلِ تبوءِ مكانة أرفع تمكِّن من استيعاب الآخر والتمّدد تجاهه دون أن يكون التمدد على حسابه أو على حساب القيم تطلُّعا إلى مستقبلٍ أجود).

يحتوي هدف (تدعيم قيم التطلُّع) القواعد القيميَّة الآتية:

. مواجهة الصِّعاب.

. تحدّي الصِّعاب.

. الأخذ بالقيم الخيِّرة.

. العمل مزيد من العطاء.

. تبوء المكانة رفعة.

. التطلُّع إلى الآخر.

. استيعاب الآخر.

. التمدّد الحر دون أن يكون على حساب الآخر.

. التمدد الحر دون أن يكون على حساب القيم.

. التطلُّع إلى المستقبل الأجود.

وعليه: فإنَّ الأخذ بالقيم الحميدة يدعم رأس المال الاجتماعي وفقًا للمجالات القيميَّة الآتية:

1 – مجال العلائق القيميَّة الاجتماعيَّة: وذلك بتدعيم قيم (المجتمع الإنساني، والأمّة، والوطن، والمجتمع المحلي، والأسرة، والزّوجيَّة، والأخلاق، والكرم، والصداقة، والجنس الآخر، والسُّلوك الاجتماعي)؛ حتى يتمكّن أفراد المجتمع من تكوين علائق موجبة بينهم، ومع الآخرين الذين يشكِّلون بيئات اجتماعيَّة في محيطهم الإنساني ولهم من العلوم والمعارف والثقافات والحضارات ما يفيد كل من الأنا والآخر.

ومن ثمَّ وجب على الأخصائي الاجتماعي أنْ يرسّخ في ذهن العميل الذي يتولّى دراسة حالته أهميَّة:

. اندماجه في المجتمع الذي ينتمي إليه، ولا ينسحب من ميادينه القيميَّة.

. يكوّن أصدقاء ليزداد ألفة ومحبة.

. يكوّن أسرة ليزداد احتراما ويتوَّج أبا أو أمًّا.

. يقدّر الآخرين يقدّر.

. يستوعب الآخرين يتم استيعابه.

. يستمسك بانتمائه الوطني إذا أراد نيل الاعتبار.

. يكن على خلق إذا أراد نيل الاحترام.

. يكُن كريما فالكرم فضيلة بين النَّاس.

2 – مجال العلائق القيميَّة السياسيَّة: وذلك بتدعيم قيم (الفكر، والسياسة، والسُّلطة، والموقع، والاستقلالية، والحريَّة)؛ التي تُمكِّن الأفراد والجماعات والمجتمعات من اتخاذ قرارات واعية، وتمكّنهم من التنفيذ والمتابعة والتقويم والمراجعة والتصحيح.

وعليه:

. فكّر قبل أن تقدم على الفعل أو السُّلوك، وقارن حتى تتبيَّن عن وعي.

.كُن ليّنا إذا أردت أن تمارس حقوقك مع الآخرين.

. مارس سلطتك في كلِّ ما يتعلّق بك من أمرٍ ولا تتردَّد حتى لا تُحرم من حقِّكَ في السِّيادة.

– اعمل وفقًا لقدراتك واستعداداتك وإمكاناتك لتصبح الشخص المناسب في مكانك المناسب.

. تحمَّل أعبائك بنفسك ولا تلقها على كاهل الآخرين.

.كُن حرّا ولا تقيّد حرِّيَّة الآخرين أو تعيقهم أثناء ممارستها.

3 – مجال العلائق القيميَّة الإنتاجيَّة: وذلك بتدعيم قيم (الاقتصاد، والإبداع، والعمل، والتقنية، والإنجاز)؛ ليكون الأفراد منتجين وقادرين على الخلق والإبداع وعلى دخول سوق المنافسة التي لا يفوز فيها إلَّا من تأهَّل وكسب، وله مهارات متنوِّعة وخبرات متعدِّدة، وله قدرات واستعدادات هائلة.

وعليه:

. أنتج إذا أردت التحدّي ومنافسة الآخرين.

. أبدع إذا أردت إحداث النُّقلة.

. اعمل أذا أردت أن تعيش بكرامة.

. امتلك التقنية إذا أردت أن تكون على ما يجب.

– خطط وفقًا لما رسمته من أهداف واعمل على إنجازها حسب الخطّة وقوّم حتى تصنع لك مستقبلًا.

4 . مجال اللائق القيميَّة النَّفسيَّة: وذلك بتدعيم قيم (الشخصيَّة، وإثبات الذَّات، والضمير، والواجب، والحقيقة، والواقع، والعلاقة الجنسيَّة)؛ ليعيش أفراد المجتمع حياة الطمأنينة والأمن ويتمكَّنوا من التفاعل الموجب والتعاون الذي يغرس الثِّقة في نفوسهم ويحقّق لهم النُّقلة.

وعليه:

. حافظ على شخصيَّتك فيما تقول وما تفعل وما تسلك.

. تمسّك بقيم المجتمع الذي تنتمي إليه إذا أردت أن تثبت ذاتك.

. حكّم ضميرك إذا أصبحت حكما بين النَّاس.

. أدي واجباتك إذا أردت أن تكون مواطنا حرًّا.

. تمسَّك بالحقيقة حتى وإن خالفك البعض.

. تفهّم الظروف وقدّر أصحابها.

. إبداء مع النَّاس من حيث هم ولا تتجاهل الواقع الذي هم عليه.

. كوّن علائق حسنة دون أن تكون على حساب الغير.

5 ـ مجال العلائق القيميَّة الذّوقيَّة: وذلك بتدعيم قيم (الوجود، والدين، والسّعادة، والجمال، والفن، والأدب، والطبيعة)؛ من أجل خلق بيئة صالحة للإبداع الذي يُحفّز على الرّفعة الذّوقيَّة في القول والفعل والسُّلوك.

وعليه:

ـ الوجود حقّ فلا تنسى نصيبك منه.

ـ إذا أردت أن يكون لك إطارٌ مرجعيٌ راقيٌ فلا تغفل عن الفضائل الخيِّرة والقيم الحميدة.

ـ إذا أردت أن تكون سعيدا أرضي ضميرك واخشي خالقك.

ـ إذا أردت أن ترى الجمال فانظر إلى الجميل واعمل ما هو أجمل.

ـ إذا أردت الانسجام نفسا وجسدا عليك بالإنصات للفن الرَّفيع.

ـ إذا أردت أن تزداد حلاوة فيما تقول فعليك بصدق القول.

ـ إذا أردت أن تشفى من الهم والغم فأخشى الله قولًا وعملًا وسلوكًا.

ـ إذا أردت النزهة النَّفسيَّة فلا تترك ديونا عليك.

ـ أطلق بصرك حرّا إلى الطبيعية يأتيك الجمال شوقا ورغبة.

6 ـ مجال العلائق القيميَّة الثَّقافيَّة: وذلك بتدعيم قيم (الثَّقافة، والعلم، والتحصيل، والصّحة، والطّعام، والوقت، والرّياضة)؛ حتى يتحقّق الرُّقي

الحضاري الذي به يتمكّن أفراد المجتمع من دخول ميادين المنافسة في المعرفة والبناء.

وعليه:

. تثقف فالثَّقافة تنير العقل.

. تعلّم واعمل إذا أردت أن تسابق الزَّمن ويُنظر إليك مقدَّرا.

. تحدّى الصِّعاب فالصِّعاب لا تصمد أمام المتحدّين.

. تطلَّع إلى المعارف الرَّاقية تزدد ارتقاء.

. استوعب الغير وقدّره يأت إليك مستوعبا ومقدّرا.

. حافظ على صحتك وسلامة نفسك ولا تلق بها إلى التهلكة.

. انتقِ الطعام المناسب لحالتك الصّحيَّة حتى تكون قادرا على أداء العمل المنتج.

. إذا أردت أن تكون على عقلٍ سليم وجسم سليم فعليك بممارسة الرياضة وفقًا للاستطاعة.

. اقطع الوقت إدارة حسنة قبل أن يقطعك فشلا.

. كن متوازنا وإرادتك بين يديك تصنع لك مستقبلًا.

ولهذا فالانسحاب عن القيم يضعف الرَّوابط الاجتماعيَّة ويفسح المجال القيمي أمام الانحلال والتفسُّخ، فعلى الأخصائي الاجتماعي أن

يعمل على استثمار القيم وأن يحرِّض على التمسّك بها لترسيخ الأخلاق الإنسانيَّة الفاضلة حتى يتمكّن أفراد المجتمع من تكوين علاقات على المستوى الأسري ومستوى المجتمع المحلي والمستوى الوطني ومستوى الأمّة حتى بلوغ المستوى الإنساني.

وعليه:

– استثمر القيم فيما يجب من تربية وعلوم وتقنية وصحة وتخطيط وتنفيذ ووحدة وطنية وسياسة واقتصاد وعلائق اجتماعيَّة وإنسانيَّة بين الأفراد والجماعات والمجتمعات.

– استثمر عقلك فالعقل قوَّة لا ينبغي الإغفال عنه، واعرف كيف تستثمره؟ ومتى؟ وأين؟

. استثمر قدراتك، واعمل على تطويرها وتنميتها بالمعلومة والخبرة.

. استثمر إمكاناتك المتاحة والمتوفّرة حتى تنمو لتستثمر فيما يجب.

. استثمر مهاراتك واعمل على تنوّعها حتى تستطيع دخول ميادين المنافسة بلا مخاوف.

. استثمر مواهبك حتى تتعرَّف على المداخل العلميَّة والموضوعيَّة لصناعة المستقبل وإحداث النُّقلة.

واعلم أنَك إذا استثمرت كلّ ذلك بإرادة وموضوعيَّة ستنجز أهدافك في الحياة، وتنال التقدير والاحترام من الآخرين الذين يدخلون معك ميادين المنافسة الحرّة بلا تردّد.

وبما أنَّ ترسيخ القيم يقوّي الرَّوابط الاجتماعيَّة بين الأفراد والجماعات والمجتمعات؛ فإنَّ الانسحاب من القيم يضعف الرَّوابط الاجتماعيَّة بين الأفراد والجماعات والمجتمعات.

لذا فإنَّ دور الأخصائي الاجتماعي ووفقًا للبرمجية القيميَّة لمهنة الخدمة الاجتماعيَّة أن يعمل على ترسيخ القيم بين العملاء سواء أكانوا أفرادا أم جماعاتٍ أم مجتمعات؛ وذلك بالعمل مع المنسحبين من قيم المجتمع وأخلاقياته لأجل العودة بهم إلى القواعد الموجبة التي يرتضيها المجتمع من خلال المشاركة في لعب الأدوار التي تناط بهم، ومن أجل ممارسة حقوقهم وتأدية واجباتهم وحمْل مسؤولياتهم بإرادة.

ولهذا ينبغي أن تُستثمر القيم في تنظيم الحياة وتهذيب الأخلاق أينما وجد الإنسان أو حلَّ وفي كلِّ الميادين الاجتماعيَّة والإنسانيَّة؛ ذلك لأنَّ استثمار القيم يدعم رأس المال الاجتماعي.

وعليه:

استثمر قدرتك.

استثمر قوّتك.

أيقظ طاقاتك الدفينة.

وجّه عاطفتك لِما يُفيد.

تابع عن وعي ما يجري من حولك.

ثق أنّك تمتلك المقدرة فأحسن توجيهها.

انظر إلى الأمام فالمستقبل ليس بعيدًا.

أنجز أهدافك أوَّلًا بأوَّل تصل إلى ما تريد بسلام.

ثق أنَّ النّور في خلقك فلا تسئ لنورٍ خُلق فيك.

أخرج من نورك نورا يهديك صوابا ويرشد الآخرين.

بناء على ما تقدَّم يترتَّب دعم الرأسمال الاجتماعي على الآتي:

1- ممارسة الحقوق.

2- أداء الواجبات.

3- حمْل المسؤوليَّات.

4- المشاركة في اتخاذ القرار.

5- المشاركة في تنفيذ القرار.

6-المشاركة في متابعة القرار وتقويمه.

7 . تقييم الجهود.

8 . تقويم الفعل والعمل والسُّلوك.

هدف حمْل المسؤوليَّة:

وذلك من خلال: (تمكِين الأفراد والجماعات من تحَّمل أعباء ما يقومون به من أفعال يُشعرهم بمسؤوليَّاتهم تجاه ما يؤدّونه من وظائف في مقابل حقوق تمارس وواجبات تؤدَّى حتى يُسهموا في عمليَّات التفاعل والتغيير الاجتماعي الموجبين وممارسة الحريَّة).

يحتوي هدف (حمْل المسؤوليَّة) القواعد القيميَّة الآتية:

. تمكين أفراد المجتمع من مسؤوليَّاتهم.

. تمكينهم من تحمّل الأعباء المترتبة على حملهم المسؤوليَّة.

. تأدية الوظائف التي ينبغي لهم القيام بها.

. ممارسة الحقوق.

. أداء الواجبات.

. الإسهام في عمليَّات التفاعل الاجتماعي الموجب.

. الإسهام في عمليَّات التغيير الاجتماعي الموجب.

. ممارسة الحريَّة بلا مظالم.

وعليه: فإنَّ تمكين الأفراد من تأدية وظائفهم الاجتماعيَّة يُمكِّنهم من حمْل المسؤوليَّة، وفي المقابل عدم تمكينهم منها لا يمكِّنهم من حمل المسؤوليَّة،

بل يجعلهم فئة غير متحمّسة للعطاء، وقد يؤدِّي الأمر بهم إلى الانحراف السَّالب، ما يجعلهم في مؤسَّسات الرعاية والخدمة الاجتماعيَّة في حاجة للإصلاح، أو منحرفون تحت طائلة القانون.

ولذا فعلى الأخصائي الاجتماعي أن يعمل على الاستثناء (المنحرفين أو المنسحبين عن قيم المجتمع وفضائله)؛ لأجل عودتهم إلى القواعد التي ارتضاها المجتمع لأفراده وجماعاته مع تقدير ما بينهم من فروق فردية من حيث القدرات والاستعدادات والميول والرغبات أو الاهتمامات التي ينبغي أن توضع في الحسبان عند دراسة حالاتهم أو عند وضع البرامج والخطط.

ومن هنا:

تحمُّل المسؤوليَّة يصنع التغيّر.

تحمل المسؤوليَّة يحقّق التغيير.

بلا شك فارق كبير بين دلائل التغير، ودلال التغيير، فالتغير في كثير من الأحيان يستمد قوته من الذَّاتيَّة، أما دلائل التغيير فتستمد قوتها من الفعل الموجه من قبل الآخر، أو الموجه إليه وفق مستهدفات محددة مسبقا. ولذا فمن يتحمّل مسؤولياته يتمكَّن من الاعتماد على إمكاناته في كثير من الأحيان. وبالتالي إذا ما وُضِعَ في دائرة المقارنة يُلاحظ عليه الفارق بين ما كان عليه وبين ما هو عليه في الزمن الآن. وعندما يُشاهد ويُلاحظ من قبل المشاهدين والملاحظين يستطيعون إظهار الفارق في القول والفعل

والسُّلوك، وقد يتأثرون إيجابا بما هو عليه، فيتحفزون ويندفعون إلى حمْل مسؤولياتهم وتحمّل ما يترتب عليها من أعباء ما يجعل التغير يُلاحظ عليهم كما يُلاحظ على الذين سبقوهم بحمْل المسؤوليَّة.

أمَّا التغيير فيحدث بأسباب متعمدة يخطط لها، ويبرمج لها، ويتمّ التدريب عليها

وعليه:

- احمْل مسؤوليَّاتك.
- اصنع التغير.
- حقق التغيير.
- قارن بين ما هو كائن وما يجب أن يكون، وأقدم على ما يجب.
- تطلّع لأداء وظائفك الاجتماعيَّة بكلِّ ثقة.
- انزع الخوف من نفسك لتتشرف بتحدّي الصِّعاب.
- ثق أنَّ كل شيء في دائرة الممكن قابل للتغير والتغيير.

امتلك الإرادة في كلّ أمر يتعلّق بك.

أثبت وجودك وذاتك بالعمل.

أهِّل نفسك للمستقبل.

ابحث عن قدوة حسنة.

كن قدوة حسنة لغيرك.

اعتمد التغيُّر قاعدة وإلَّا سيعتمده لك الآخرون.

. اعرف أنَّ الجمود والسُّكون استثناء فلا تركن إليه، واعمل على التغيير الموجب.

ولذا فعلى الأخصائي الاجتماعي أن يعمل على إصلاح حال الأفراد المنحرفين وتأهيلهم على ما يجب ليتمكّنوا من المشاركة في إحداث التغيير الذي يستهدفه المجتمع بخططه واستراتيجيَّاته المرسومة. وإذا ما حدث التغيير المبرمج أو المستهدف، يطرأ التغير على أقوالهم وأفعالهم وسلوكهم بما يُمكِّن الآخرين من ملاحظته أو مشاهدته، ويتمكّنوا من إصدار الأحكام المناسبة على كل قولٍ أو فعلٍ أو سلوكٍ.

وبما أنَّه كلّما تحمَّل الفرد أو الجماعة أو المجتمع الأعباء المترتّبة على حمْل المسؤوليَّة حدث التغيير؛ إذن لأجل أن يحدث التغير الموجب يجب على كل مفردة من مفردات المجتمع أن تتحمّل ما يترتَّب على كلِّ ما تقوم به في ضوء اختصاصات وصلاحيات وأدوار ومسؤوليَّات، وفي ضوء الاتجاهات والشرائع والقوانين والأعراف التي تُكوِّن الخصوصيَّات الاجتماعيَّة.

ولذا فدور الأخصائي الاجتماعي يكْمن في العمل على تغيير حالة العميل من أجل تحقيق الأهداف وإنجاز المهام وتأدية الوظائف وتحقيق التغيُّر الإرادي.

هدف نيل التقدير:

وذلك من خلال: (إشعار أفراد المجتمع وجماعاته بأنَّ لهم من الإمكانات المتعدِّدة ما يُمكِّنهم من نيل التقدير إذا ما استثمروها في الأوجه المرضية، ويزدادوا رقيًّا ومكانة بالمشاركة الفعّالة في تأدية المهام والواجبات التي تناط بهم وفقًا لقدراتهم واستعداداتهم ومهاراتهم ومستوياتهم التعليمية وخبراتهم التي تراكمت بالممارسة عبر الزَّمن. وعندما تسود قيمة التقدير بينهم يتمكَّنوا من استيعاب بعضهم بعضا ويتطلَّعوا إلى صناعة المستقبل الأفضل).

يحتوي هدف نيل التقدير على القواعد القيميَّة الآتية:

. تحسيس المجتمع بأهميَّة إمكاناته المتعدّد.

. التمكُّن من نيل التقدير.

. استثمار الإمكانات في الأوجه المرضية.

. ازدياد الرُّقي والمكانة.

. مشاركة أفراد المجتمع القادرين على أداء المهام التي تناط بهم.

. مشاركة أفراد المجتمع القادرين على أداء واجباتهم.

. مراعاة القدرات.

. مراعاة الاستعدادات.

. مراعاة المهارات.

. مراعاة المستويات التعليمية.

. مراعاة الخبرات.

. سيادة قيمة التقدير.

. الاستيعاب المتبادل.

. التطلُّع إلى صناعة المستقبل الأفضل.

وعليه:

نيل التقدير قيمة في مقابل مطلب نتيجة دور أو مسئولية أو اتخاذ موقف يستوجب التقدير، والتقدير هنا ليس المادّة، بل القيمة المعنوية التي بها تعظّم المواقف، ويقدرون أصحابها؛ ولهذا فالنَّاس يختلفون بين مقدّرٍ ومقدَّر، ومن هنا؛ يعدّ التقدير منبعا من منابعِ بلوغ الأمل إذ الجميع يرغبه ويأمل نيله، لا ينال التقدير إلّا عاقل يميّز بين ما يجب، وما لا يجب، وعندما يميّز بينهما، يستطيع أن يَقدم على ما يجب، ويستطيع أن يتجنّب ما لا يجب. وهنا يكمن الاختلاف والخلاف كما يكمن التقدير.

فالعاقل بسداد رأيه، وحكمته، وحُسن أدائه، واستنارة علمه ومعارفه، يستطيع نيل التقدير من الآخرين إرادة، وهكذا من يقدّر النَّاس يقدّر، ومن لم يُقدَّرهم لا يقدّر، وكلّما سادت قيمة التقدير بين النَّاس أفرادًا وجماعات ومجتمعات امتدّت بينهم جسور المودّة، والاحترام، والتعاون والتفاهم، والتفهُّم.

وعندما يسعى الإنسان تجاه الآخرين لنيل التقدير بما يقدم عليه من عملٍ رفيع، أو بما يقدم عليه من أداء واجبات بتفوّق، ولم ينل مسعاه ستكون ردود أفعاله تجاه المجتمع سالبة (انطواءً، أو انسحابًا، أو أنانيَّةً)؛ ولهذا كلّ شيء يؤسّس على الإرادة تكون نتائجه مرضية لفاعله، حتى ولو كانت نتائجه سلبية، ممّا يجعل المفسد يُفسد في الأرض إرادة، بأسباب ردود أفعال عدم تقدير ما أقدم عليه، أو عدم تقدير ما قام به من عملٍ يختلف أو يخالف ما قام به الآخرون من أعمال، ولكن عندما يبلغ الحال إلى هذا المستوى الذي لا يُميّز فيه المِجدّ من المهمل، والمصلح من المفسد تصبح صفة الإفساد هي السَّائدة، فتسوء الأحوال بين الأفراد والجماعات كما تسوء مؤسّسات الدّولة أيضا؛ فتنقلب الأحوال من الجدّ إلى التسيب، ومن الاهتمام إلى الإهمال، ومن التقدّم إلى التخلّف، ومن الموضوعيَّة إلى الأنانيَّة.

ولكن عندما يصل الأمر إلى هذا المستوى ويعمّ الألم، تنتفض الشّعوب من آلامها وأوجاعها؛ فتثور على ما ألمّ بها من آلام من أجل أن

تنهض، وتتغيّر أحوالها، وتبلغ غاياتها، وهكذا هي سُنن الحياة تتبدّل ومنابع الأمل لا تنضب.

ولأنّ التقدير قيمة حميدة؛ فيسعى العاقل المدرك إلى نيله من العقلاء، ومن أجل نيله يدرك أنّ الموت ثمن في سبيل تحقيقه يمكّن من بلوغ الحياة مرّتين:

المرّة الأولى: أن يكون قبول الموت ليس تهلكة، ولكن من أجل أن يصبح التقدير سائدا بين النَّاس من بعده درسا، وعبرة لمن أراد أن يكون مقدّرا في شخصه، أو عمله، أو أن يكون مقدّرا في جهاده واستشهاده.

المرة الثَّانية: أن يكون الموت في سبيل الله كما هو الحال عند المسلمين من أجل الفوز بالحياة الباقية في دار الخلود.

ولذلك يتحوّل الموت إلى قيمة عالية تنال التقدير، وبخاصّة عندما يكون الموت عملا يرجو من ورائه الإصلاح، أو تحرير الوطن، أو صدّ خطر يحاك ضدّه، أو ضدّ الشّرف، أو الدّين، أو القيم الحميدة والفضائل الخيِّرة.

وعليه؛ فإنَّ الموت (السّلبي) – الذي هو فرار من الموت (الإيجابي)– هو موت بلا ثمن؛ فمن أقدم عليه ضل؛ ذلك لأنَّه لم يكن قيمة حميدة، ولا يُحقِّق تقديرا.

نيل التقدير لا يكون إلّا بما يُبذل من جهد جاد ومتميّز تجاه الأنا والآخرين؛ فالآخرون عندما يلاحظون ما يبذله الإنسان من جهد في سبيل الرُّقي الأخلاقي، أو الرُّقي العلمي والمعرفي، أو في سبيل زيادة الإنتاج والإصلاح، والإعمار، والبناء بشكلٍ عام، يقدّرونه تقديرا عاليا، وفي مقابل ذلك لا يقدّرون الضّالين، ولا المجرمين، ولا المتكبّرين، الذين يفسدون في الأرض.

ومن ثمّ فإنَّ تعظيم قيمة التقدير منبع الأمل لا يكون إلّا بإظهار كلّ ما من شأنّه أن يُفخّم تلك المعاني المكوّنة للقدوة الحسنة، حتى يصبح المدرس قدوة حسنة، والطبيب قدوة حسنة، ويصبح الأب قدوة حسنة، وكذلك تصبح الأم قدوة حسنة، ويصبح المسؤول خير قدوة في الأمانة والنَّزاهة والحرص على الوحدة الوطنية وسلامة تراب الوطن، وأمن شعبه، ورأس ماله الدّيني والاقتصادي والثقافي والحضاري.

ولأنَّ التقدير قيمة مأمولة من قِبل الجميع؛ فيجب أن يفخّم ويعظّم حتى يحفّز الجميع على أداء كلّ ما من شأنه أن يمكّنهم من نيله، وبتفخيم قيمة التقدير تتماسك عُرى المحبّة والمودّة بين أبناء الشّعب الواحد، وتقوى حتى ترتقي بأصحابها إلى مقامات الرّفعة المأمولة، وهكذا بالنسبة إلى العلاقة التي ينبغي أن تكون بين الأخصائي الاجتماعي والعميل.

فالتقدير مطلب يُشبع رغبة، تستوجب من راغبٍ في نيله أن يستشعر بتماثل حاجات الآخرين مع حاجاته ورغباته، ولهذا فعندما يصل

(الأخصائي والعميل) إلى هذا المستوى القيمي يتمكّنان من نيل التقدير المتبادل؛ ومن ثمّ ينال كلّ منهما مكانة عند الآخر، ممّا يجعلهما يشعران بحاجتهما للبعض؛ فكلّ منهما على درجة من الأهميَّة التي لا ينبغي أن يُستهان بها، أو يُغفل عنها[4].

الإنسان يسعى لنيل التقدير:

ولأنَّ القاعدة تستوجب من الإنسان أن يسعى إلى نيل التقدير، فعلى الأخصائي الاجتماعي أن يعمل على هذه القاعدة، وألَّا يغفل عنها أثناء جمع المعلومات وتحليلها وتشخيص الحالات، وتحقيق العلاج وتقويم الحالة والجهود المبذولة في سبيل دراستها.

وعليه:

. أسع إلى نيل التقدير بالتحصيل.

. اعمل على تحصيله بالحُجّة.

. اكتسب المهارات المتنوّعة التي تُمكّنك من المنافسة حتى تُقدّر.

. قدّر الآخرين تنال التقدير منهم.

. اجعل النجاح لك رفيقا.

[4] عقيل حسين عقيل، منابع الأمل، القاهرة، مكتبة الخانجي، 2017م، ص 311 .316.

. سابق الزَّمن واجعله في ملاحقة جهودك المثمر

. اكتشف إمكاناتك لتتمكن من نيل التقدير.

. أظهر إمكاناتك، لتنال الاحترام.

. طوّر من إمكاناتك، لتحدث النُّقلة.

. استثمر إمكاناتك لتصنع مستقبلًا.

. وجّه إمكاناتك لتُبدع وتتطوّر.

. اكتشف إمكاناتك واستخدمها بثقة.

. اكتشف قدراتك واستثمرها بيسر.

. اكتشف طاقاتك ونمّها إلى أقصى حد.

. اكتشف استعداداتك وهيئها للإقدام على ما يجب.

. امنح نفسك فرصة التعرُّف على تجارب الآخرين.

وبما أن الإنسان إمكانات متعددة.

إذن فعليه بتنميتها واستثمارها فيما يجب، حتى يُحدث النُّقلة، وعلى الأخصائي الاجتماعي تعريف العميل بأنه قوَّة، وعليه أن يساعده على توجيهها وتهذيبها وكيفية استخدامها، ومتى يمكن له أن يستخدمها ومع من تُستخدم.

هدف نيل الاعتراف:

وذلك من خلال: (تمكين أفراد المجتمع من نيل الاعتراف، مقابل ما يقومون به من مهام أو أدوار أو وظائف، ومقابل ما تمكّنوا من بلوغه من تحصيل ليزدادوا عطاءًا وتفاعلًا وتطلُّعًا إلى المفيد الذي يطوي الهوة بين الحاضر والمستقبل الأفضل).

يحتوي هدف (نيل الاعتراف) القواعد القيميَّة الآتية:

. تمكِّين أفراد المجتمع من نيل الاعتراف.

. الاعتراف مقابل أداء المهام.

. الاعتراف بلعب الأدوار.

. الاعتراف بوظائف الأفراد.

. بلوغ التحصيل.

. ازدياد العطاء.

. ازدياد التفاعل.

. التطلُّع إلى المفيد.

. التطلُّع مع النَّافع.

. طي الهوة بين الحاضر والمستقبل.

. المستقبل الأفضل.

وعليه:

يعدّ الاعتراف بالآخر منبع من منابع تحقيق الأمل؛ ذلك لأنَّ الاعتراف قيمة حميدة والجميع يأمله، ولكن في الوقت الذي يأمله الجميع، هناك من لا يأمل أن يتمّ الاعتراف بالمختلفين والمخالفين؛ ولأنّ نيل الاعتراف مأمول فينبغي أن تُعظّم قيمته وتفخّم حتى تسود بين النَّاس.

ولأنّ الاعتراف بالآخر هو قيمة حميدة؛ لذا نجد الكثير من النَّاس يجتهدون من أجل أن يُعترف لهم بأنّهم مميّزون؛ وذلك بما لهم من ملكات وقدرات جعلتهم يتبوؤون المراتب الأولى على أقرانهم، ممّا يدعو المقدّرين لأهميَّة التميّز إلى الاعتراف لهم بذلك، والشدّ على أيديهم، ومساندتهم من أجل بلوغ المواقع الإدارية والمهنيَّة والعلميَّة التي من خلالها يستطيعون إظهار مهاراتهم، وقدراتهم في أداء المهام التي تناط بهم وطنيًّا.

ولهذا فمن يبذل جهدا متميّزا عن الآخرين يتمكّن من نيل الاعتراف منهم مع وافر التقدير عندما تكون مقاييسهم موضوعيَّة. ومن هنا وجب على المسؤول "أن يُشعِرَ مواطنيه أفرادا وجماعات بأهميّته مسؤولا مقدّرا؛ وذلك بإحقاقه الحقّ، وعدله، وسماحته، وحِلمه، ولين جانبه كي يعترف له مواطنوه الذين ارتضوه حَكما بمقدرته على العمل والعطاء للوطن إلى

النّهاية، وفقًا لقواعد الدّستور المشرّع من قبل الجميع؛ إذ لا تغييب ولا إقصاء ولا حرمان"[5].

فقيمة الاعتراف لها من الأثر النفسي والمعنوي ما يكفي لقبول التحدّي وخوض الصّعاب من أجل ما يفيد وينفع، وفي المقابل عدم الاعتراف بالتميّز يؤدِّي إلى إحباط نفسي ومعنوي يعيد المتحدّي إلى المربّع الأوّل وكأنّه لم يكن كما كان عليه.

الاعتراف مؤسّس لقاعدة (نحن سويًّا):

إنَّ قاعدة (نحن سويًّا) قاعدة مؤسّسة على بناء الذَّات العامّة التي تنشأ وتمتدّ في المجال العلائقي الاجتماعي، ثمّ تنمو في الضمير جنبا إلى جنب مع نمو العاطفة، وتتّسع مع اتساع دائرة المعارف على مستوى الأسرة، والقرابة، والجيرة، والأصدقاء، وبني الوطن والإنسانيَّة بأكملها، وعندما تتوقّف ثقافة الفرد عند حدّ المستوى الذَّاتي وتقف عنده، ولا تتطلّع إلى معرفة ما هو أوسع وأكبر، عندها تتمركز شخصيَّة الفرد على الذَّاتيَّة، ولا تفكّر في غيرها.

ولكن عندما تنفتح الذَّات على الآخرين تصبح ذاتا معترفة بالآخر، ومتطلّعة إليه، تبادله علما، وثقافة، ومعرفة، وتجربة حتى تصبح الشخصيَّة

[5] المصدر السابق، ص 140.

الذَّاتيَّة على صفة جديدة تتجاوز التوقّف عند حدود الذَّات إلى المستوى التطلُّعي؛ فتصبح صفتها الجديدة (تطلُّعيَّة).

ولذلك فعندما يعترف الأنا بالآخرين، يصبح لسان حالهم مشتركا في الضمير (نحن) كما هو حال نحن العرب، وحال نحن المسلمون، أو نحن الأوربيون، أو نحن بنو آدم، وهكذا لسان حال كلّ جماعة أو شعب بينهم روابط مشتركة.

وعليه فالمنطق الذي جعل لسان حال الشّعوب والأمم، لسان حال خصوصياتهم هو الذي جعل منهم أطرافا متواجهة في الضميرين (نحن) أم (أنتم) وبخاصّة إذا ما تمسّك كلّ طرف بخصوصيّته على حساب خصوصية الطّرف الآخر.

فالاعتراف بالآخر (المختلف أو المخالف)، يحرّر الإنسان من أطماع نفسه ومظالمه، كما يحرّره من أطماع الآخرين ومظالمهم، سواء أكان الآخرون من بني الوطن، أم أنّهم من خارجه، ولذا؛ فبالاعتراف لن يسود منطق التهميش الذي منه:

- أنا فقط.

- أنا أملك ما أشاء، وأنت لن تمتلك شيئا.

- أنا الزّعيم، ولا زعيم معي.

- أنا الرّئيس، وغيري تابعون مرؤوسون.

. أنتَ مغيّب ومُقصى، وأنا السيّد وحدي.

. أنا نقرّر، وأنت تسري القرارات عليك.

. أنا أُحاسب ولا نحاسب.

. أنا من حقّي أن أغضب، وأنت من واجبك امتصاص غضبي.

. أنا عندما أمتدّ كما أشاء ليس لك بدّ إلّا أن تنكمش.

. أنا عندما نقصيك، عليك بالصّمت.

. أنا عندما نعزلك سياسيا فلا نقاش.

إنَّ مثل هذه السياسات هي التي أنتجت بين النَّاس الظّلم، والقهر، والخوف، كما أنّها أشعلت نيران الغضب في الأنفس، وجعلت من البعض تحت الاضطرار يقولون ما لا يفعلون، وجعلت من الخائفين يعملون سرّا وعلانية من أجل استبدال الواقع المؤلم، بواقع آخر شافي من الآلام حتى وإن كانوا الضحيّة، وهذه السياسات هي التي جعلت من الأجنبي مترقّبا متحيّنا للفرص المناسبة.

إنَّ الاعتراف قيمة حميدة بين النَّاس الذين كلّ منهم يُقدّر الآخر اعترافا بأنّه معطية إنسانيَّة لا ينبغي غض النّظر عنه، بل يجب الأخذ بيديه ليكون مشاركا، وفعّالا، وواعيا بما يجب وما لا يجب، ممّا يستوجب على الأخصائي الاجتماعي الاعتراف بخصائص وخصوصيات العملاء وفقًا

لمبدأ الاعتراف بالآخر. وفي المقابل إن سادت قيم عدم الاعتراف ساد العناد والخلاف، والإفساد والتحدّي والمواجهة، وهنا تكمن العلل.

ولأنَّ نيل الاعتراف بما يقوم به الأفراد والجماعات والمجتمعات يزيد من عطائهم الموجب، وعدم الاعتراف بما يقوم به الأفراد والجماعات والمجتمعات من جهود ناجحة يقلل من عطائهم الموجب، إذن: الاعتراف قيمة موجبة، وعدم الاعتراف قيمة سالبة.

ولذا جاء نيل الاعتراف هدفا من أهداف مهنة الخدمة الاجتماعيَّة، وجاء دور الأخصائي الاجتماعي لملاحقته حتى يتحقَّق.

هدف تفعيل الاستيعاب:

من خلال أنْ: (تتأكد أهميَّة الأنا لدى الآخر بسيادة منطق النَّحنُ الذي يستوعب الجميع دون استثناء، وبقيم المواءمة والاحترام والاعتبار المتبادلة، وبإتباع أساليب الدِّيمقراطيَّة والشَّفافيَّة وتقدير الخصوصيّة واعتبارها)

يحتوي هدف (تفعيل الاستيعاب) القواعد القيميَّة الآتية:

. سيادة منطق النحن.

. استيعاب الجميع.

. المواءمة مع الآخر.

. الاحترام المتبادل.

. الاعتبار المتبادل.

. إتباع أساليب الدِّيمقراطيَّة.

. إتباع أساليب الشَّفافيَّة.

تقدير الخصوصيَّة.

وعليه:

الاستيعاب حيّز نفسي يسمح بقبول الآخر بما هو عليه من علل واختلاف مع تقدير ما يختلف به واحترامه، وهو منبع من منابع الأمل التي يأملها النَّاس؛ فالاستيعاب لكونه قيمة حميدة لا يكون إلّا بقرار مسبق به يتمّ قبول الغير وتفهّم ظروفهم وتقدير أحوالهم وتقبّل ما يختلفون به أو بما هم به يتميّزون؛ فالاختلاف والخلاف توءمان في دائرة الاستيعاب، لا يقبلان بالرّأي الواحد، ولا الحزب الواحد، ولا الفكر الواحد، كما أنّهما لا يقبلان بأيّ إكراه، أو إقصاء، أو ظلم، أو قهر، أو عدوان بغير حقّ؛ وذلك فقيمة الاختلاف والخلاف تزداد أهميَّة وضرورة، كلّما ظهر ظلم، أو إكراه، أو حرمان، ومع ذلك فأبواب الاستيعاب مفتوحة؛ أي: لو لم يكن الاختلاف والخلاف، ما كان للاستيعاب وجود، ولا ضرورة، ولأنّ الاختلاف والخلاف سابقان من سابقٍ على كلّ سابق؛ فهما لا يكونان

مستقلّان عن سابق معهما؛ ذلك فهما الرّفيقان للعاقل الذي كان متميّزا بهما، وبالاستيعاب معا.

فالاستيعاب قيمة احتوائية، تعتمد تقبّل المختلف والمخالف، وتعترف بوجودهما، دون أن تتخذ أحدهما غاية في ذاته، بل دائما الغاية من ورائهما هو التقبّل، الذي لا يُفرّق فيه بين أحد وآخر إلّا بحقّ يختلف به كلّ منهما عن الآخر.

فالاستيعاب يمكِّن الأخصائي الاجتماعي من الإلمام بالموضوع، كما يمكّنه من تشخيص الحالة، وبلوغ النتائج القابلة للتطبيق، والتفسير، دون أن يغفل عن الآتي:

– استيعاب الإيجابيَّات، والتأكيد عليها، ونقلها للآخرين بوسائل مبسّطة تمكّنهم من التعرّف عليها، وتحفِّزهم على العمل بها.

– استيعاب السّلبيَّات، وتحديدها، وإبراز عللها، وأسبابها، والعمل على إزالتها، وتنقية الموضوع منها، وتبيان الأضرار التي قد تنجم عنها.

– استيعاب المختلف والمخالف، واحتواؤهما دون انحياز، ولا عصبيّة، انطلاقا من أنّ الفروق الفرديَّة بين النَّاس مكمّلة لبعضها البعض.

– استيعاب المختلف والمخالف، يمكّن من التفاهم، والتفهّم، ومن ثمّ يمكّن من تقويم الأحوال من أجل ما يجب.

– استيعاب المختلف والمخالف ينهي التأزّمات، والآلام، والأحقاد، والمظالم، ويمكّن من تصحيح المعلومات الخاطئة بمعلومات صائبة.

. استيعاب المختلف والمخالف يجعلهم في دائرة (نحن معا ونحن سويّا).

– استيعاب المختلف والمخالف يمكّن من توليد القوَّة، وجمعها وتسخيرها لما يفيد، وتوجيهها إليه.

ولهذا، يجب أن يكون الاستيعاب بلا تردّد، والتقبُّل حتى النّهاية التي بها تُدرك الأمور، وتتحسّن الأحوال، وتُبلغ الحلول. ولكن عندما تُفقد أو تنعدم هذه القيم ومثيلاتها يحدث التفرُّق والصّدام والصّراع.

فالاستيعاب قيمة حميدة يجمع الشّمل، ويُمكّن من إنجاز الصّعب في دائرة الممكن، وهو الممكِّن من الوقوف على نقاط التمركز والتشتُّت التي تجعل المختلفين على الفرقة والضعف، ممّا يستوجب الأخذ بنقاط الالتقاء واعتمادها جزء من الحلّ، ونقاط الاختلاف واعتماد تجنّبها جزء من الحلّ، فالإلمام بالمشكلة، وظروفها المتنوّعة، والمتغيّرة، والمتباينة، والمتصادمة، يُمكّن الجميع من معرفة العلل، والأسباب مكامن الإصلاح والحلول، إذ لا حلّ إلّا ونابع من عِلةٍ، أو سببٍ.

وعليه؛ فالاستيعاب هو المحفّز والدّافع إلى الحلّ، الذي لا يتمّ بلوغه إلّا بعد خوفٍ يُمكّن منه.

ولسائل أن يسأل:

كيف يمكن أن يكون الاستيعاب لو اتخذنا العرب مثالا للتطبيق؟

أقول:

العرب مع أنّهم بنو قوم واحدٍ، إلّا أنّهم متفرّقون بين تقي وشقي، وظالم وعادل، وحاكم ومحكوم، وسيدٍ ومسود، وغني وفقير، وقاصٍ ومُقصٍ، ومستقرٍ ومهجّر، ومسلمين ومسيحيين، وسنّة وشيعة، وكرد وتركمانستان، ودروز وأمازيغ، وطوارق وتبو وغيرهم من التنوّع الذي يرسم خريطة الوطن العرب جمالا. ولذا، إنْ أرادت العرب حلّا لمشاكلهم السياسيَّة، والاقتصاديَّة، والاجتماعيَّة، والثَّقافيَّة، والنَّفسيَّة، والذّوقيَّة؛ فعليهم بالاستيعاب الذي لا يستوجب اشتراطات، سوى الجلوس سويّا تحت مظلّة الوطن الواحد للشّعب الواحد من الحدود إلى الحدود، وطن فيه الحقوق تمارس، والواجبات تؤدّى، والمسئوليات تُحمْل، والتداول السلمي على السلطة هو العنوان.

أمَّا الاشتراطات؛ فهي مجموعة من الموانع والعَقبات التي توضع من قِبل أحد الأطراف ضدّ الأطراف الأخرى؛ فتحول دون التمركز على قاعدة الاعتبار (نحن معا نحن سويّا)، فيتولّد الإقصاء والتغييب والتهميش، وهذه جميعها تدفع الإنسان إلى الرّفض والتمرد والتطرّف والثورة التي ليس من بعدها إلّا بلوغ الحلّ.

ولذا فالاشتراطات في كثير من الأحيان مصدرها فوقي، تصدر من أعلى درجة طبقية إلى أسفل درجة على درجات السُلَّم القيمي، وهي

إملاءات مانعة للاستيعاب، وتتطلّب تنازلات، ثمّ المزيد من التنازلات كلّما تمَّ قبول لاشتراطٍ من اشتراطاتها، ممّا يخلق حالة من الجفاء لا يكون من بعدها إلّا ما يقطع خيوط الاتصال التي يمكن أن تربط مع الآخر.

ولأنّ الاستيعاب قيمة احتوائية، فهو القيمة التي تعترف بالآخر، وتتقبُّله مشاركا تامّا، يمارس حقوقه، ويؤدِّي واجباته، ويحمل مسئولياته، ومن ثمّ لن تُحلّ المشاكل بين النَّاس إلّا بالاستيعاب الذي يُحفّز على التقارب، ويؤدِّي إلى التفاهم.

وعليه:

. استوعب النَّاس يتم استيعابك.

. اعترف بحقوق النَّاس يتم الاعتراف بحقوقك.

. قدّر النَّاس تنال التقدير منهم.

. عامل النَّاس بشفافية تعامل بها.

. عامل النَّاس بمرونة يمدوك بالاحترام.

هدف الإصلاح الاجتماعي:

بغاية: (تحسين أحوال العملاء والرُّقي بأفراد المجتمع وجماعاته إلى ما ينبغي أن يكونوا عليه، وفقًا لطموحاتهم، وبما يتماشى مع آمال المجتمع والمتغيّرات المستحدثة فيه من أجل نيل المأمول اجتماعيّا وإنسانيّا، والعمل

على استثمار الإمكانات المتاحة للباحثين عن البديل المفيد والمتعاونين مع الغير بما لا يكون على حساب بناء الذَّات اجتماعيًّا).

يحتوي هدف (الإصلاح الاجتماعي) القواعد القيميَّة الآتية:

. تحسين أحوال العملاء.

. تحسين أحوال الفرد.

. تحسين أحوال الجماعة.

. تحسين أحوال المجتمع.

. الرُّقى إلى ما ينبغي أن يكون.

. مراعاة الطموحات.

. الأخذ بالمتغيرات المستحدثة من أجل نيل المأمول.

. تحقيق الذَّات الاجتماعيَّة والإنسانيَّة.

. استثمار الإمكانات المتاحة.

. البحث عن البديل المفيد.

. التعاون مع الغير بما يفيد الأنا والآخر.

الإصلاح يُحسِّن أحوال المجتمع:

الإصلاح قيمة موجبة تترتّب على معرفة مسبقة بالخلل أو الانحراف السَّالب، ثمَّ تحديد أهداف واضحة والعمل من أجل تحقيقها أو انجازها وفق خطة مرسومة، مع تصميم واعٍ بما يجب أن يتم أو يؤدَّى.

وبما أنَّ الإصلاح يُحسِّن أحوال المجتمع، فلِم لا تسرع المجتمعات المتخلِّفة والمجتمعات النامية إلى الإصلاح أحوالها؟

ولماذا يتفشَّى الفساد في الخدمات، وأهلها لا يلتفتون إليها إصلاحا؟

أقول لمن شاء إصلاحا: إنَّ للإصلاح مرتكزات قيميَّة فعليه بها ومنها:

1 ـ المرتكزات العلميَّة (الإصلاح العلمي المحقق للتنمية الروحية والمعرفية واكتشاف المناهج والطرق والأساليب المؤدية إلى التطوّر والتقدم الحضاري).

2 ـ المرتكزات الصّحيَّة (إصحاح البيئة، ووقاية المجتمع وعلاجه من الأمراض، وتحصينه من آفات المستقبل المتوقَّعة).

3 ـ المرتكزات السياسيَّة (إصلاح القرار والتنفيذ والمتابعة في ضوء حقوق تمارس وواجبات تؤدى ومسؤوليَّات يتم حمْلها).

4 ـ المرتكزات الاقتصاديَّة (الممكّنة من زيادة الإنتاجيَّة المربحة وصيانة الملكية وممارسة البيع والشراء بكل إرادة مع تفادي معطيات الخسارة).

5 ـ المرتكزات الاجتماعيَّة (المؤدية إلى تحقيق التوافق والتكيُّف الاجتماعي وتكوين علائق قيميَّة مرضية).

6 ـ المرتكزات الثَّقافيَّة (الممكنة من تقديم المعرفة على حقيقتها لتُسهم في إزاحة الجهل وتدعم البحث العلمي بكلِّ موضوعيَّة).

7 ـ المرتكزات الذّوقيَّة (الممكّنة من تحقيق الرّفعة في الكلمة والفعل والسُّلوك).

8 ـ المرتكزات النَّفسيَّة (الممكِنة من تحقيق الاعتبار وبناء الذَّات المتحفِّزة على التطلُّع وإحداث النُّقلة المحققة للطمأنينة والرِّضاء النفسي) أي: إحداث النُّقلة من:

ـ الجهل إلى المعرفة.

ـ الغفلة إلى الصحوة.

ـ الحالة الإنسحابيَّة إلى الحالة التطلُّعيَّة.

ـ الأنانيَّة إلى الموضوعيَّة.

ـ الاعتماد على الغير إلى الاعتماد على النفس.

وعليه: (الإصلاح تكاملي شمولي) ويؤسّس في مهنة الخدمة الاجتماعيَّة على دراسة وافية وفقًا لعمليَّات تجميع المعلومات وتحليلها وتشخيص الحالة والعلاج والتقويم؛ ولذلك تمتدّ علميَّة الإصلاح لتشمل

المجال الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والمجال النفسي والذَّوقي والثقافي. ولذا فأيِّ غفلة عن جانب من هذه الجوانب الرئيسة تُعد العلميَّة الإصلاحية غير متكاملة مما يعرِّض العميل إلى الانتكاسة في أيِّ وقت من الأوقات.

وبما أنَّ الإصلاح شمولي تكاملي.

إذن يجب على الأخصائي الاجتماعي أن يلم بالحالة قيد البحث والدراسة وحدة واحدة حتى يتبيَّن أثر المتغيرات على شخصيَّة العميل وأثرها على محيطه الاجتماعي والإنساني. أمَّا إذا درس الحالة وفق مجال واحد أو مجالين فإنَّ دراسته بطبيعة الحال ستكون قاصرة عن بلوغ الغايات التي من ورأى إحالة الحالة إليه، ليقوم بالبحث في أغوارها ودراستها دراسة موضوعيَّة.

وللتميز بين الإصلاحات القاعدية والإصلاحات الاستثنائية أقول:

الإصلاح التكاملي: الذي يؤسّس على دراسة الحالات من جميع مجالات امتدادها (الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة والسياسيَّة والنَّفسيَّة والذّوقيَّة والثَّقافيَّة). هذا الإصلاح هو الذي يقابله الإصلاح النسبي، الذي يحدث فيه الإهمال أو الإغفال عن تناول بعض المجالات ذات العلاقة مما يجعل الحالة المدروسة لا تحقق الإصلاح التكاملي نتيجة إغفال الأخصائي عن تناول بعض المجالات المهمة في دراسة الحالة.

الإصلاح الشمولي: هو الذي يمتد لمتابعة الحالة من خلال من يتعلق الأمر بهم مباشرة ثم الآخرون الذين يتعلق الأمر بهم بشكل غير مباشر. فالعاملون في مؤسَّسات المجتمع الإنتاجيَّة عندما لا يحققون ربحية للمجتمع يضعون في دائرة المسائلة القانونية. ما يجعل الضَّرورة تستوجب دراسة الحالة بإجراء مقابلات مع المسؤولين في المؤسَّسة بالدرجة الأولي، ومع مساعديهم بالدرجة الثانية، ومع بقية العاملين بالدرجة الثالثة. ثم مع الآخرين الذين لهم علاقة بإلحاق الضرر بإنتاجية المؤسَّسة وهم من خارجها كالمصارف المركزية، والأجهزة الرقابية التي لم تُنبه عن الحالة التي ألمت بالمؤسَّسة التي كانت تعد من المؤسَّسات الإنتاجيَّة المتميزة.

هدف التأهيل الاجتماعي:

وذلك بهدف: (تمكين الأفراد والجماعات من التأهيل، حسب قدراتهم واستعداداتهم وإمكاناتهم، لأداء وظائفهم الاجتماعيَّة، مع مراعاة الفروق الفرديَّة، وإعادة التأهيل لمن ضعفت قدراتهم، وتدعيمهم بما يمكّنهم من الأداء الاجتماعي السَّليم).

يحتوي هدف (التأهيل الاجتماعي) القواعد القيميَّة الآتية:

. تأهيل أفراد المجتمع.

. التأهيل حسب القدرات.

. التأهيل حسب الاستعدادات.

. التأهيل حسب الإمكانات.

. تأدية الوظائف الاجتماعيَّة.

. مراعاة الفروق الفرديَّة.

. إعادة تأهيل من ضعفت قدراتهم.

. تدعيم الذين ضعفت قدراتهم.

. الأداء الاجتماعي السَّليم.

وعليه:

على الأخصائي الاجتماعي أثناء دراسة أيّ حالة من الحالات مراعاة الفروق الفرديَّة من حيث:

. الفروق الاجتماعيَّة.

. الفروق السياسيَّة.

. الفروق الاقتصاديَّة.

. الفروق النَّفسيَّة.

. الفروق الذّوقيَّة.

. الفروق الثَّقافيَّة.

ومع ذلك فمن لا يستجيب للتأهيل هو في حاجة لإعادة تأهيله.

هدف تحقيق الرَّفاهية الاجتماعيَّة:

من خلال: (العمل على إشباع الاحتياجات الضرورية، والامتداد إلى ملامسة الكماليات منها، استجابة لرغبات وطموحها أفراد المجتمع، في حياة اجتماعيَّة وإنسانيَّة متطلّعة إلى ما هو أنفع وأفيد وأجود وأفضل).

يحتوي هدف (تحقيق الرَّفاهية الاجتماعيَّة) القواعد القيميَّة الآتية:

. إشباع الحاجات الضروريّة.

. الامتداد لملامسة الكماليَّات.

الاستجابة لرغبات المجتمع.

. الاستجابة لطموحات المجتمع.

. حياة اجتماعيَّة متطلّعة.

. حياة إنسانيَّة متطلّعة.

. التطلُّع للأنفع.

. التطلُّع للأفيد.

. التطلُّع للأجود.

. التطلُّع للأفضل.

إشباع الحاجات ضرورة إنسانيَّة:

ولأنَّ إشباع الحاجات ضرورة إنسانيَّة، تأسَّست هيئات وجمعيَّات ومؤسَّسات دولية إنسانيَّة لتقديم المساعدة لمن هم في حاجة إليها، سواء دول بحالها أم جماعات منها. ولذا فمن باب الضَّرورة والوجوب لا مفرّ من إشباع الحاجات البشرية المتطوِّرة عبر الزّمن، ومن يَهمل أو يغفل عن ذلك يجد نفسه في حالة مواجهة مع الذين فقدوا مشبعات حاجاتهم.

وعبر التَّاريخ والحاجات البشرية في حالة امتداد وتطوّر، ولن تقف عند حدٍّ، وإن لم تواكبها حركة الإشباع تطوُّرًا لا بدَّ أن تحدث الهوة بين الحاجات ومشبعاتها، وبين المطالب والرَّغبات، وبين المعطيات والنتائج.

ولأنَّ الحاجات ومشبعاتها في حالة تطوُّر متسارع، فإنَّ الرّفاهية ستكون نسبية من عصرٍ إلى عصرٍ، فما هو كمالي اليوم سيصبح لا محالة ضروري غدا.

هدف تحقيق التوافق الاجتماعي:

من خلال: (تدعيم العلاقات الإيجابيَّة بما يُشبع حاجات أفراد المجتمع في ضوء الموارد المتاحة والتوقعات المحتملة، وعدم إجبارهم على ما لا يرغبون بما يترك لهم فسحة في الاختيار الإرادي ويُمكّنهم من تكوين علاقات مرضية تجعلهم في حالة توافق وانسجام اجتماعي وإنساني).

يحتوي هدف (تحقيق التوافق الاجتماعي) القواعد القيميَّة الآتية:

. تدعيم العلاقات الإيجابيَّة.

. إشباع الحاجات.

. الأخذ بالموارد المتاحة.

. الاعتبار للتوقعات المحتملة.

. الاختيارية لا الجبرية.

. مراعاة الرّغبة

. إعطاء فسحة للإرادة.

. تكوين علائق مرضية.

. تحقيق الانسجام الاجتماعي.

. التوافق الإنساني.

وعليه فالتوافق قيمة حميدة لا تسود بين النَّاس إلّا بعد اختلاف وعن إرادة؛ فحيث ما كان التوافق بين النَّاس قيمة مقدّرة ومفخّمة، كان الانسجام والتفهُّم بينهم سائدا بدون تقديم تنازلات، إلّا بما هو مرضٍ ولو بعد نقاش وبيّنة، ومع أنَّ التوافق قيمة مأمولة، فإنَّه من حيث المفهوم لم يكن الاتفاق؛ فالاتفاق مع أنّه إرادي، فإنَّه يمكن أن يكون بين الأعداء كالاتفاق على وقف إطلاق النَّار في حالة ما إذا كان بينهم اقتتال، وهذا

لا يعني أنَّهم متوافقون؛ فالتوافق لا يكون إلّا على رؤية وقضايا ومواقف جمعيّة، ممّا يجعل البعض يتوافق مع القيم ولا يتّفق مع أصحابها.

التّوافق قيمة اجتماعيَّة وإنسانيَّة بلوغها ممكنٌ، ولكنّه ليس سهلا؛ فمن بلغه تجنّب المظالم، وأمَّنَ الآخرين، واطمأنَّ معهم، والتّوافق لا يكون إلّا بتقارب المطلب مع الرّغبة، وتقارب الحاجة المتطوّرة مع مشبعاتها المتنوّعة وظروفها الموضوعيَّة، وهو المحقّق للرّضا دون تقديم تنازلات بغير حقّ.

ومن ثمّ، عندما تُفخّم قيمة التّوافق تحقّق الانسجام الإرادي بين النَّاس المختلفين، ويصبح الانسجام سائدا بين الأنا والآخر، وتصبح المشاركة بينهم موجبة. ولكن هذا لا يعني ألَّا يكون التّوافق سالبا؛ فمثلما يتوافق الإصلاحيّون، كذلك يتوافق المفسدون، ولكن الفرق بينهما الموضوع والغايات التي من ورائه.

ولأنَّ التّوافق مع الإيجابيَّات توافق مع الحقّ؛ فأصحاب الحقّ لا يُقرُّون إلَّا حقّا وعدلا، وبكل إرادة؛ فالذين يوفون الكيل والميزان بالقسط عند كلّ موزونٍ، ولا يبخسون النَّاس أشياءهم، هم المتوافقون مع الحقّ وموجبَات إحقاقه، ومع أنَّ التّوافق واحد إلَّا أنَّ للتوافق أنواع موضوعيَّة كتوافق الزّمن مع الزّمن، وتوافق المكان مع المكان، وتوافق الظرف مع الظرف، وتوافق الودِّ مع الودِّ، وتوافق الظلم مع الظلم، وهكذا فإنَّ التّوافق لا يتعدّد ومواضعه ومعطياته تتعدّد، حتَّى في القصاص لا حلَّ للمشكل ولا حكم فيه عدلا إلّا بالتّوافق، مصداقا لقوله تعالى: {وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ

وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ}[6].

ومع أنَّ التوافق لا يكون توافقا إلَّا بأسباب الاختلاف، فإنَّ الاختلاف لا يفسد التوافق، بل الذي يفسده هو الخلاف الذي إن سادت عِلله بين النَّاس تنازعوا، وتصادموا، وتقاتلوا، وتفرّقوا شيعا وأحزابا[7].

وعليه فإنَّ المجتمع المتوافق هو:

. المجتمع الذي يعيش أفراده وجماعاته حياة الانسجام.

. المجتمع الذي يتطلّع لكلِّ موجب مفيد.

. المجتمع الذي تسود أفراده وجماعاته الإرادة الحرَّة.

. المجتمع الذي يُقدّر قيمة الاستيعاب.

– المجتمع الذي تَخلَّصَ من القوانين والتشريعات الفوقية.

– المجتمع الذي لا يغيّب أحدا من أفراده وجماعاته عن المشاركة في الأمر المشترك.

– المجتمع الذي يمارس أفراده حقوقهم ويؤدُّون واجباتهم ويحملون مسؤوليّاتهم.

---

[6] المائدة 45.

[7] عقيل حسين عقيل، السياسة بين خلاف واختلاف، الزعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م، ص 7.

– المجتمع المتفهّم للظروف الخاصّة والمقدر لها.

– المجتمع الذي اعتمد قيمة الشَّفافيَّة في قاموسه الاجتماعي والاقتصادي والسياسي.

– المجتمع الذي يمد يد العون ويقدّم المساعدة الهادفة بمنظور إنساني.

ولذا فإنَّ التوافق الاجتماعي يحقّق بالضَّرورة علائق موجبة.

والخدمة الاجتماعيَّة باعتبارها مهنة إنسانيَّة فهي تنطلق من مبادئ إنسانيَّة لتنجز أهدافا أخلاقية.

ولأنَّ لا هدف إلّا وله مبادئ ينطلق منها، لذا يمارس الأخصائي الاجتماعي دوره المهني انطلاقا من مبادئ مهنة الخدمة الاجتماعيَّة والاهتداء إلى أهدافها الإنسانيَّة، دون تحيّز ولا غرضية، ما يجعله في حالة توافق مع ما يؤدِّيه أو يمارسه وما يلتزم به من مبادئ.

التوافق الاجتماعي إرادي:

التوافق لا إكراه فيه، به يتحقّق الانسجام الاجتماعي، وفيه حركة العلائق الاجتماعيَّة بين الأفراد والجماعات والمجتمعات الإنسانيَّة انسيابية، لا عوائق تحول بين الأفراد، ولأنَّ التوافق إرادي فعلائقه طبيعية، إذ لا اصطناع فيها. ولذا كلَّما تحقق التوافق الاجتماعي كانت أساليب ممارسة الحريَّة بين النَّاس ديمقراطية.

ولذا فعلى الأخصائي الاجتماعي أن يعمل على تصحيح ما يسبب الإكراه والإجبار للفرد والجماعة والمجتمع، من أجل العودة بهم إلى القاعدة وهو (تحقيق التوافق الاجتماعي) حتى يَعُمّ السَّلام والانسجام، وأن يعمل على معرفة أسباب الاستثناء وعلله من أجل العلاج والإصلاح.

هدف تحقيق التكيُّف الاجتماعي:

وذلك من أجل: (إحداث تغييرات مرغوبة لدى العملاء وأفراد المجتمع، بما يتلاءم مع النظم والقوانين والتشريعات الاجتماعيَّة والقدرات والموارد المتاحة، لتحقيق المواءمة الممكنة بينهم وبين سياسة المؤسَّسات الاجتماعيَّة والبيئة، وبما يُمكِّنهم من استيعاب الظروف السَّائدة والمتغيرات الطارئة وبما يجعلهم عند الضَّرورة في حالة تكيف اجتماعي).

يحتوي هدف (تحقيق التكيُّف الاجتماعي) القواعد القيميَّة الآتية:

. إحداث تغييرات مرغوبة.

. التلاؤم مع النظم الاجتماعيَّة.

. التلاؤم مع القدرات.

. التلاؤم مع الموارد المتاحة.

. تحقيق المواءمة.

. استيعاب الظروف السَّائدة.

. استيعاب المتغيرات الطارئة.

. التكيُّف الاجتماعي.

. التكيُّف ضرورة.

وعليه:

كان ينظر للتكيّف على أنّه ضرورة من ضرورات الحياة، وكأنّه حاجة من الحاجات الرَّئيسية للفرد والجماعة والمجتمع، ولكن ليس الأمر هكذا كما يبدو؛ فالتكيُّف الذي يعني المواءمة يستوجب في كثير من الأحيان تنازلات من المتكيّف إلى الموضوع المتكيّف معه، أو المتكيّف من أجله، وهذه التنازلات لا يمكن أن تتمّ إلّا للضرورة، وبما أنَّ الضَّرورة تستوجب ذلك؛ إذن: قد يحدث التكيُّف ولا يتحقق التوافق.

وبمعنى آخر، قد يحدث التقارب النفسي، أو التقارب في وجهتي نظر المختلفين نتيجة مصلحة أو ضرورة سياسية، أو اجتماعيَّة، أو عقائدية، ولكن في معظم الأحيان لا يحدث التطابق بين المختلفين على الموضوع.

وقد يحدث التكيُّف، ولكنّه بلا رغبة، كما هو حال السجين الذي لا رغبة له بأن يكون داخل جدران السّجن مقيّد الحريَّة، ومع ذلك عبر الزّمن سيتكيّف السّجين مع السّجن كأمر واقع، فالتكيُّف في كثير من الأحيان يعد قيدا على المتكيّف بغير إرادة، ولهذا؛ فشعوب الاتحاد

السوفييتي تكيّفت بالقوّة مع النظام الماركسي اللينيني سبعين عاما، دون أن تكون لهم إرادة حرّة.

ولكن في الوقت الذي يعتبر فيه العالم أنَّ نظام الاتحاد السوفييتي قيد على الحرّيات، في الوقت ذاته كان الاتحاد السوفييتي قوَّة مهابة وشعوبه متكيّفة مع نظامه عنوة.

ولأنّ التكيُّف بأسباب الضَّرورة، فلا يمكن أن يكون إلّا بعد القبول بتقديم تنازلات مادية أو معنوية؛ فعلى سبيل المثال: تعد مهمة البوليس والجيش هي الحفاظ على الأمن في الداخل والحفاظ عليه من الخارج؛ فيجنّد الشباب للجيش والشرطة، ولكن وللأسف الشديد في الأنظمة غير الدِّيمقراطيَّة، الشباب يجنّدون لمواجهة من لم يتكيّف مع النظام وحكومته المحكومة بأمر قمّة السّلطان غير العادل؛ ولذلك يُقمع الشّعب إن لم يتكيّف مع توجّهات الحاكم وآرائه وسياساته الخاصّة.

وفي الأنظمة الظالمة، تُعد مهمّة رجال البوليس، ورجال الجيش مهمّة وضع القيد على من لا يتكيّف مع الأمر الواقع.

ومن هنا؛ فالتكيُّف يستوجب تعديلا في السُّلوك تجاه ما يتراءى للمختلف والمخالف، وإن لم يتمّ تعديل في السُّلوك؛ فالتكيُّف لن يتحقّق حتى مع البيئة الطبيعية كالجبال والوديان، والبرد القارس، والحرّ الشديد؛ فالإنسان عندما يضطرّ عن غير رغبة إلى العيش في بعض الأماكن الطبيعة؛

فهو بالزّمن سيجد نفسه متكيّفا مع المناخ والطّقس المتغيّرين، وبالتكيُّف يتأقلم ويكتسب مناعة.

إذن: اكتساب المناعة هو الأساس في علميَّة تحقيق التكيُّف من عدمه؛ فعندما يكتسب الإنسان المناعة من سياسات الأنظمة القمعية يستطيع التعايش معها بلا مصادق؛ فيَتعمّد أن يُظهِرَ ما لا يُبطن حتى لا يشتدّ القيد عليه أكثر من غيره من الرّافضين الذين بأسباب التكيُّف يظهرون مالا يبطنون. مما جعل المواطن في بعض البلدان يتكيّف مع الحاكم ونظامه، وأعوانه، وفي الوقت ذاته يتكيّف مع أعدائه، وهذا الأمر عوّده على أن يتكيّف مع الصواب كما يتكّيف مع الخطأ.

ومع ذلك فالتكيُّف قد يكون سالبًا، وقد يكون موجبًا؛ فعندما يكون مع الظلم، والفساد، ومع السُّلوك الانحرافي المخالف للدّين، والعرف، والقيم الحميدة، يُعدُ سلوكا سالبا. أمّا عندما يكون مع الخير والعدل وممارسة الدِّيمقراطيَّة، ومع الأخلاق التي يرتضيها الجميع، فيكون تكيّفا موجبًا، وهكذا سيكون موجبًا كلّما كان نتيجة للتوافق.

وعليه: يتحقق التكيُّف الاجتماعي نتيجة الضَّرورة التي تفرض ذاتها على الموضوع أو على الأفراد أو على الجماعة والمجتمع، أي: إنَّ التكيُّف في حالة تماثل مع الضَّرورة، والتوافق في حالة تماثل مع الوجوبيَّة. وهذا يعني لا توافق إلَّا مع ما يجب، والتكيُّف يحدث بأسباب تدعوها الضَّرورة، سواء ضرورة الحاجة أو ضرورة القوَّة والمغالبة بدون إرادة.

وعليه في حالة الضَّرورة تصبح القاعدة في دائرة الاستثناء، ويصبح الاستثناء في دائرة القاعدة. فعلى سبيل المثال: السجين مضطر لأن يتكيف مع ظروف السّجن وأساليب السجَّانين؛ ولذلك فالقاعدة بالنسبة للسجين أن يتكيف للضرورة مع السجن، أمَّا التوافق بالنسبة له فاستثناء؛ ولهذا تنقلب القاعدة استثناء، ويصبح الاستثناء قاعدة لا ينبغي الإغفال عنها.

ولذا فالقاعدة في ظروف ممارسة الحريَّة هي:

1 . التوافق إرادي.

2 . التكيُّف للضرورة.

والقاعدة في ظروف انعدام ممارسة الحريَّة هي:

1 . التكيُّف وجوبي.

2 . والتوافق للضرورة.

ووفقًا لقاعدة الإرادة فإن التوافق يؤدِّي إلى الانسجام بين الفرد وبيئته ومحيطه الاجتماعي أو بين المجتمع ومحيطه الإنساني.

وبما أن التكيُّف الاجتماعي ضرورة، والضَّرورة هنا في كثير من الأحيان لا مكان فيها للاختيار، إذن: في حالة الضَّرورة تُعطى التنازلات بدون إرادة.

وعليه فعليك بدائرة الممكن (المتوقَّع وغير المتوقَّع) حتى لا تستغرب أو يغالبك الذهول. فإذا لاحظت أو وجدت الاستثناء في دائرة القاعدة فلا تستغرب، وفي مقابل ذلك إذا أصبحت القاعدة في حالة استثناء فلا تستغرب. بل تقدّم وتساءل: ما الأمر؟ ولماذا؟ وكيف يحدث أو لا يحدث ذلك الأمر؟ وحينها تعرف إنَّ لكل قاعدة استثناء، وحينها لا يجد الاستغراب مكانا له في دائرة التفكير. ومع ذلك لا تقف هكذا للتفرُّج، بل أقدم بعد معرفة الأسباب والعلل إلى ما يؤدِّي إلى الإصلاح والمعالجة الموضوعيَّة.

ولهذا في حالة الضَّرورة يندرج التكيُّف تحت القاعدة مع أنَّ الضَّرورة تندرج تحت الاستثناء.

ولأنَّ عدم التكيُّف الاجتماعي يؤدِّي إلى العزلة؛ لذا من لا يرغب في العزلة ليس له بدّا من أن يُقدِّمَ تنازلات حيث الضَّرورة، وإلَّا لن يُكتب له التكيُّف.

ليس دائمًا التكيُّف يتحقّق بتنازلات:

بما أنَّه ليس دائمًا يتحقق التكيُّف بتنازلات، إذن: في بعض الأحيان يتحقق التكيُّف بدون تنازلات، أي: يُمكن أن يكون التكيُّف بإرادة؛ فعلى سبيل المثال: عندما يتمكّن الإنسان من الاختيار الحرّ يتوافق مع اختياراته ومع النظام الذي سمح له بذلك، وعندما تعود اختياراته عليه بما هو موجب أو مرغوب فيه يحدث له تكيف مع ما تحقق له من فوز أو نجاح، أي:

سيكون مبسوطا ومسرورا وراضا. ولكن لو أعطيت له فرص الاختيار الإرادي، وتمكَّن من ممارسة الاختيار الحرّ، وكانت نتيجة اختياره سالبة (لم يوفّق في الاختيار الأنسب والأفضل) فلن يكون متوافقا مع اختياراته ولن يكون متكيفا بإرادة وجوبيَّة، بل قد يكون متكيفا في المستقبل للضرورة.

ولهذا فالقاعدة هي

1 ـ التكيُّف وفقًا لقاعدة الممكن.

2 ـ والتوافق وفقًا لقاعدة الممكن.

وهاتان القاعدتان لا استثناء لهما.

ولهذا كلّ شيء في دائرة الممكن (متوقَّع وغير متوقَّع).

ولهذا قد يتساءل البعض: متى تصبح القاعدة استثناء؟

تصبح القاعدة استثناء عندما تحل الضرورية محل الوجوبيَّة.

ولهذا على الأخصائي الاجتماعي ألَّا يستغرب، ولا يُفاجئ، وألَّا تغفل مهنة الخدمة الاجتماعيَّة عن أهميَّة التكيُّف للأفراد والجماعات والمجتمعات في حالة الضَّرورة.

الهدف تأكيد الكرامة الإنسانيَّة، من خلال: (ترسيخ الفضائل الخيّرة والقيم الإنسانيَّة في تعاليم وأفعال وسُلوكيَّات أفراد وجماعات المجتمع، بما يشعرهم بقيمهم وأهميَّتهم والتأكيد على أهميَّة الكرامة التي بها يتحقَّق

الاعتبار وتنمو روح الاعتزاز بالانتماء الاجتماعي والإنساني، المحفّز على التعاون والدافع إلى مواجهة الصِّعاب وتحدِّها ومغالبتها).

يحتوي هدف (تأكيد الكرامة الإنسانيَّة) القواعد القيميَّة الآتية:

. ترسيخ الفضائل الخيّرة.

. ترسيخ القيم الإنسانيَّة.

. التعاليم الخيّرة.

. الأفعال الخيّرة.

. السُّلوكيَّات الخيّرة.

. الإشعار بأهميَّة الفضائل.

. الإشعار بأهميَّة القيم.

. تنمية روح الاعتزاز.

. الانتماء الاجتماعي.

. الانتماء الإنساني.

. تحقيق الاعتبار.

. التحفيز على التعاون.

. الدافعية للتعاون.

. الانتماء الاجتماعي.

. الانتماء الإنساني.

. مواجهة الصِّعاب.

. تحدِّي الصِّعاب.

. مغالبة الصِّعاب.

وبما أنَّ تأكيد الكرامة يستوجب عدم غض النظر عن كلّ ما من شأنه أن ينمي روح الاعتزاز بإرادة لدى الأفراد ودون تفاخر على الآخرين، إذن:

. عليك بالإقدام على تنمية قدراتك حتى تكون لك كرامة.

. اعتز بذاتك حتى يرضى عنك المجتمع الذي تنتمي إليه.

. أكد كرامتك بتنمية روح الاعتزاز في نفسك.

. استقراء التَّاريخ لتستمد منه العبر.

. تمسّك بما لك واعترف بما للآخرين.

. ثق أنك قوَّة وتطلّع لإحداث النُّقلة.

. الإخلاص في العمل.

. الإقدام على الفعل والسُّلوك بموضوعيَّة.

. الإنجاز في الوقت والمكان المناسبين.

. الإبداع وفقًا لدائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع.

. الاشتراك في صناعة التَّاريخ كلّما سنحت الفرص لذلك.

. التطلُّع إلى الأفضل والأجود إلى النهاية.

. مواجهة الصِّعاب وتحدّيها ومغالبتها حتى تُقهر.

. الإقدام على صناعة المستقبل بلا تردد.

. استخدام الحجة بمنطق في القول والفعل والسُّلوك.

. خذ بالقدوة حتى تصبح قدوة.

. اجعل الأخلاق منارة لا تفارق.

. قدّر كرامة الغير تقدّر كرامتك.

وعليه: الكرامة قيمة للاستشعار بالشّرف الذي إذا مُسّ بسالبٍ ساد الألم ضمير الإنسان الذي تتجسّد في نفسه قيمة الكرامة؛ ولهذا فإنّ تفخيمها سلوكا بين النَّاس مبدأ. وبهذا المعنى يصبح الإنسان قيمة في ذاته، وذلك بتفخيم قيمة الكرامة في شخصه عِبرا ومواعظا وشرفا وفضائلا خيّرة.

فالكرامة قيمة ذاتيَّة تأصيليَّة تربط الإنسان بالتَّاريخ، والفضائل الاجتماعيَّة والإنسانيَّة حتى يصبح الشّرف والوطن والأمّة والدّين من

المكونات الرَّئيسة لذات الفرد، الذي إذا تفخَّمت في نفسه قيمة الكرامة يقبل أن يموت أو يستشهد في سبيلها.

فتفخيم الكرامة يجعل من الإنسان شخصيَّة مقدّرة، وله من الاحترام والاعتبار ما يجعله شخصيَّة مهابة؛ ولهذا تعد آراؤه وحكمه وجهوده وتجربته وخبرته مرجعية دون أيّ تمييزٍ لدينٍ أو عرقٍ أو ثقافةٍ.

ويحتوي مبدأ (تفخيم الكرامة) على أنّ الثّقة في الإنسان خَلقًا وخُلقًا ينالها بالاحترام والأخذ بالتعاليم المستمدّة من الفضائل الخيّرة والقيم الحميدة، ومن هنا يصبح الإنسان قيمة في ذاته يحترم رأيه ودينه وجنسه ونوعه ولونه وهويّته.

ولهذا ينبغي أن يتمّ تقدير الأفراد والجماعات بما يليق بتفخيم الكرامة الإنسانيَّة، وتجنّب معاملتهم وكأنّهم مجرّد أرقام في أحد سجلات إثبات القيد الوطني.

وبما أنَّ تفخيم كرامة الإنسان مبدأ، فتفخيمها لا يكون إلّا قولًا وفعلًا وعملًا وسلوكًا؛ ولهذا وجب اعتبار الآخر وتقدير دوره وما يبذله من جهد في سبيل استقرار الأمن والارتقاء بالوطن والحفاظ على شرفه وشرف الآخرين وعلى جميع المستويات في دائرة الممكن (المتوقّع وغير المتوقّع) سواء أكانت موضوعيَّة، أم تطلُّعيَّة، أم ذاتيَّة، أم إنسحابيَّة، أم أنانيَّة.

ولذا فإنَّ الكرامة مكوّن قيمي اجتماعي ذو أبعاد إنسانيَّة ينبغي تفخيمها قيمة بما يحافظ ويعظّم قيمة الإنسان أينما كان؛ ذلك لأنَّ تفخيم الكرامة يمكّن من الحفاظ على التَّاريخ والحضارات والثَّقافات المتنوّعة مع احترام الخصوصيَّات الاجتماعيَّة والوطنيَّة.

الكرامة مكوّن قيمي اجتماعي ذو أبعاد إنسانيَّة:

ولأنّ الكرامة مكوّن قيمي اجتماعي ذو أبعاد إنسانيَّة؛ إذن فتفخيمها واجب لا ينبغي أن يغفل عنه الأنا والآخر؛ ذلك لأنّ تفخيمها تفخيم مكانة، أي: تفخيم مكانة كلّ من الأنا والآخر.

ولهذا عندما تهان كرامة الأفراد، تهان كرامة الشُّعوب. وهذا يعني أنّ الكرامة مكوّن مجتمعي من القيم المتضمنة في الأعراف والأديان والتقاليد. ولذا كلّما قُدّمت الإهانات لقيمة مجتمعيّة أثرت سلبًا في نفوس الأفراد والجماعات المنتمين للمجتمع. وعليه تكون المواجهة مع من يُقدّم الإهانات للقيم والفضائل الاجتماعيَّة الخاصّة بمجتمع معيّن أو لمن يُقدِّم الإهانات إلى قيم وفضائل إنسانيَّة.

إذن: المجتمع بلا كرامة لا ينال التقدير ولا الاحترام، وهكذا حال الأفراد والجماعات بلا كرامة لن ينال أحد منهم التقدير ولا الاعتبار.

وعليه:

. عش كريما تقدّر.

. عش كريما تنل الاعتراف.

. عش كريما تبادل الاحترام.

. عش كريما تُعتبر.

وفي المقابل من يقبل العيش مهانا لن تكون له كرامة، ومن يقبل أن يعيش مهانا يقبل بإعطاء التنازلات إلى النهاية، ولهذا فالتمسّك بالقيم الإنسانيَّة يكوِّن الضمير الإنساني، والتنازل عنها لا يكون إلّا تنازلا عن المكانة والكرامة.

ومن أجل تفخيم الكرامة:

. مارس حقوقك بتماثل مع الآخر.

. أدِّ واجباتك بتماثل مع الآخر.

. احمل مسؤوليَّاتك بتماثل مع الآخر.

. تبادل الاعتبار بتماثل مع الآخر.

وبما أنّ الضمير الإنساني استيعابي. إذن: غرس القيم والفضائل الإنسانيَّة وجوبي.

ولذا فإنَّ غرس القيم والفضائل الاجتماعيَّة ضرورة من أجل تحقيق الكرامة الإنسانيَّة وتفخيمها في نفوس الأفراد والجماعات والمجتمعات أينما كانوا على رقعة المعمورة بأسرها.

وبما أنَّ اعتبار الخصوصية يُمكّن من استيعاب الآخر. إذن: القاعدة الأخلاقية استيعاب الآخر، والاستثناء إقصاؤه؛ ولذا فمن يشعر بعدم تقدير خصوصيته، يصاحبه القلق والخوف، وهكذا سيكون الحال عندما يحس بأنَّ الآخر يقلل من شأنه.

وعليه:

تفخيم الكرامة مبدأ يجعل الإنسان على المكانة التي بها يتبوأ مقام الرّفعة المأمولة؛ أي: إنّ الكرامة لا تكون إلّا على الرّفعة، ولا تترسّخ ارتقاء إلّا بها، ومن ثمّ؛ فمن أراد أن يكون له شأن فليعمل على تحقيق المكانة قيما وفضائل، وإذا أراد الإنسان أن يرتقي قيما وفضائل؛ فليأخذ بمفاتيح العلم، ويبدأ إصلاح حاله من حيث هو، حتى يهيئ نفسه ويتأهب للعمل من أجل تحقيق ما ينبغي أن يكون عليه ارتقاء مأمولا.

ولكي يبلغ الإنسان مأموله قيما وفضائل؛ فعليه أن يكون قدوة حسنة لبني جنسه، فإذا حكم عدل، وإذا شهد، شهد حقًّا، وإذا عاهد أوفى، وإذا قال صدق، وإذا عمل أحسن عمله، وإذا تعلّمَ علّمَ، وإذا اكتال أوفى، وإذا رأى فتنة بين النَّاس أصلح، وإذا غضب تملّك نفسه، وإذا ذُكِر بخيرٍ فعليه بالمزيد، وإذا ذُكر بسوءٍ فليصفح وليعفو.

ولذلك فالتمسّك بالقيم لكونها قيما، لا يفيد، بل المفيد العمل بها قولا وسلوكا؛ ولهذا ينبغي أن يتشرّبها النشء تربية وتعلّما وتعليما حتّى يجسدوها سلوكا كما جسدها أهل المكانة والكرامة.

فأهل الكرامة دائمًا في علوٍ قيمي قولًا وسلوكًا؛ علوٍ عن الرّذيلة وما يؤدِّي إلى ارتكاب أفعالها وأعمالها التي ترفضها القيم الحميدة والفضائل الخيّرة.

ولأنَّ الكرامة تعظيم شأن؛ فهي التي تجعل أهلها مسؤولين وكرامًا أمناء، وفي المقابل من لا يكون عليها قيما وفضائل لا يكون إلّا في دونية وسُفلية؛ ولهذا فإنَّ أوطان المتخلّفين تتخلّف بأسبابهم حيث لا مسؤوليَّة ولا أمانة لديهم ولا إخلاص للوطن ولا كبرياء لهم عن النّواقص والرّذائل والمفاسد وما يُعيب وما يشين.

ولأنَّ الكرامة تفخيم شأن؛ فهي التي بها يتمّ بلوغ المنزلة العالية والمكانة الرَّفيعة، في مقابل آخرين لا ينزلون إلّا الأماكن الدُّونيَّة التي لا تليق بأصحاب مكارم الأخلاق.

ومن بلغ المكانة العالية بلغ الرّفعة التي يأملها من خُلق في أحسن تقويم ولم يخالف، ومن بلغ المكانة عملا وسلوكا نال الاحترام والتقدير والاعتبار من قِبل الغير، ولهذا فالكرامة قيمة تعظيم بما هو عظيم، ورفعة قدرٍ بما هو رفيع، فأهل الكرامة يتّعظون بما هو عظيم ويأخذون العبر من كلّ عبرة ومعتبر.

ولذا فأهل الكرامة أهل مكانة لهم من الكبرياء ما لهم، فهم يتكبّرون عن كلّ ما من شأنه أن يسيء للقيم والأخلاق والأعمال والأقوال، فالكبرياء تعالٍ عن كلِّ ما يؤدِّي إلى الفتنة، أو يسيء للنّاس، ممّا يجعل

الكبرياء هو المحقّق للكرامة المقدّرة والمعتبرة، ويجعل لصاحبها شأنا بما اختار أن يكون عليه بذوقٍ رفيع.

وعلينا أن نميّز بين قيمة التكبُّر والاستكبار؛ فالتكبّر قيمة حميدة لتعظيم الشأن بعدم النزول في منازل السّافلين، كالتكبّر عن القول الزّور وعن أيّ نعوت لا حقائق تسندها، وهو التكبُّر عن الأفعال التي لا تليق بمكارم الأخلاق، وهو الإخلاص في العمل مع وافر الأمانة، وهو السُّلوك المثال الذي لا يقدر عليه إلّا من له مكانة مقدّرة. أمَّا الاستكبار فهو الاستعلاء عن الحقيقة والجحود لمبرراتها ومعطياتها وهو معاندة بدون حُجّة دامغة؛ فالمستكبر يقف على الحقيقة ويغض النّظر عنها، بعدم اعترافه بأنّها الحقّ، مع العلم أنَّ هذا الأمر لا يُنقِص من شأن الحقيقة، بل يُنقص من شأن المستكبر عليها بغير حقٍّ.

وهذا يعني أن للتكبّر صفتين:

الصِّفة الأولى: هي التكبُّر بالحقّ عن المظالم وعن الأعمال الوضيعة التي تقلِّل من شأن مرتكبيها، وهذه من صفات الذين يقولون الحقّ ويعملون على إحقاقه، أي: إنَّهم الذين يتعالون عن المكر والكيد وسفك الدّماء في الأرض بغير حقّ وإن حكموا بين النَّاس حكموا بالعدل، وإن قالوا صدقوا، وإن عملوا أصلحوا وإن عاهدوا أوفوا.

الصِّفة الثَّانية: التكبُّر عن الحقّ، بالحياد عنه والميل كلّ الميل إلى ما يؤدِّي إلى إخفائه ومغالبته بالباطل، والمتكبّرون عن الحقّ هم الذين يقومون

بأعمال الوضاعة التي تقلِّل من شأن مرتكبيها، بما يقدمون عليه من أفعال لا تُرضي النَّاس، وهؤلاء هم الذين إن قالوا كذبوا، وإن عملوا أفسدوا، وإن عاهدوا أخلّوا ونقضوا.

وعليه فإنَّ للتكبّر مبرراته؛ لكونه قيمة حميدة، ولا مبرّرات له إلّا أن يكون قيمة حميدة؛ ولهذا تُحرّف القيم وتقوّض من قِبل أولئك الذين ضلُّوا فأفسدوا فظلموا فطغوا وتكبّروا كما طغى وتكبّر من قبلهم المتكبّرون بغير حقّ، ولكن دائما التَّاريخ يمدّ بالعبر فمن أراد أن يعتبر فعليه بالتَّاريخ لأخذ العبر منه، ومن لم يرغب في ذلك فالحاضر يكفيه درسًا حيًّا.

ولذا فالمفسدون هم الذين يتكبَّرون عن الإصلاح، أمَّا المصلحون أهل المكانة والكرامة فهم الذين يتكبَّرون بفعله: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآَدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ}[8]. إنَّ استكبار إبليس كان استكبارا عن الحقّ، أمَّا تكبُّر الملائكة فكان تكبرا بالحقّ، وهنا فالسّجود يدلُّ ويُعبِّرَ عن الطَّاعة وبلوغ المكانة الرَّفيعة التي تُؤمل من أهل الكرامة التي ينبغي أن ترسّخ بين الأنا والآخر مبدأ ثابتا في المعرفة والسُّلوك والفعل.

ولهذا؛ فالمتكبّر بظلمٍ هو الذي يعرف الحقيقة ويأبى إظهارها، ولا يأخذ بها، أمَّا المتكبّر بالحقِّ فإن دعي لنقيصة تكبَّر عنها، وإن دعاه سائل استجاب وفق استطاعته، وإن لم يستطع فلا ينهر؛ ولذا فالتكبّر صفة

[8] البقرة، 34.

محتملة للإيجاب والسّلب؛ فتكبُّر العبد عن ارتكاب المظالم وارتكاب المعاصي قيمة إيجابية، وفي المقابل ارتكابه للأفعال الذميمة والمفسدة في الأرض قيمة سلبية، ذلك لأنَّ الكرامة لا تكون إلّا نقاء وصفاء مع الأنا الذي فيه كبرياء المخلوق ورفعة مكانته وكرامته، وكرامة الذَّات التي فيها كبرياء المجتمع، وكبرياء الضّمير الذي فيه تُقدَّر الإنسانيَّة، ولذا ينبغي للإنسان أن يتكبّر عن:

الجهل:

فالجهل أساس كلّ داء يصيب المجتمع الإنساني تخلّفًا؛ لأنَّ الجهل من شأنه أن يؤدِّي بالإنسان إلى الانحطاط في أماكن الرّذيلة والمفاسد، والذين يتمسّكون بالجهل بأسبابه؛ فهم في حاجة لمنقذ يخرجهم من ظلماته إلى نور الإيمان والعلم والمعرفة التي بها يرشدون.

ولأنَّ الصِّراع من البدء الخلقي هو صراع بين جهل وعلم (شرّ وخير)؛ لذا فبالعلم تتحسّن الأحوال وبالجهل تسوء، ولأنَّها كذلك فالصّراع بين الخير والشرّ لم يحسم أمره بعد؛ فهو باقٍ ما بقي الجهل في مضادة العلم؛ ولهذا فالذين يجهلون حقيقة أنّ استقرار أمن الوطن يكمُن في حقوق تمارس وواجبات تؤدّى ومسؤوليَّات يتمّ حملها، فهم لن يناموا ساعة واحدة نوما هادئا وهنيئا، والذين يعلمون حقيقة ذلك ينامون في أوطانهم نوما آمنا هنيئا بمشاركة النَّاس فرحتهم بالممارسة الفعلية للحقوق والواجبات والمسؤوليَّات؛ مع توسيع دوائر المراقبة والمحاسبة والمساءلة للجميع حيث لا

قمّة سُلطانيَّة إلّا من الشّعب، ممّا جعل الحكّام في دول ممارسة الحريَّة بأسلوب ديمقراطي يختارون عن إرادة لفترة محدّدة دستورا، وهم بذلك يقبلون، ولا يتجاوزون قرارات الشعب ودستوره قمّة. ولهذا لا وجود للمؤامرات ولا الانقلابات ولا المظالم التي تدور رحاها في أوطان التكميم.

الشَّهوات:

إنَّها الشّهوات التي خلقها الله تعالى فينا، ولكنَّ البعض لم يحسن فهمها وتهذيبها وضبطها والسّيطرة عليها، ممّا جعلها هي المسيطرة والقائدة للباطل والمفاسد، قال تعالى: {زُيِّنَ للنَّاس حبّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ}[9]؛ فالشّهوات متوافرة في الحياة الدّنيا، ولكنّ البشر تفاوتوا في التعلّق بها، فمنهم من اشترى الحياة الدّنيا بما تحويه من هذه الشّهوات، ومنهم من اشترى الآخرة بما فيها من خير عظيم وفوزٍ دائم، ولأنَّ الإنسان خلق ليكون إنسانا بحقّ في هذه الحياة الدّنيا، فلا ينبغي أن يقصر شهواته على الدّار الآخرة كما لا يقصرها على الدّار الدّنيا، ذلك لأنَّ الخالق خلق الإنسان في أحسن تقويم ليكون وارثا في الدّارين؛ ولهذا لا ينبغي أن ينسى نصيبه من الدّنيا، ولكن لا ينبغي لأحد أن يتجاوز الحدود القيميَّة والفضائلية التي أقرَّ لها الخالق حدودا، ليكون فائزا في الدّارين وتكون له كرامة راسخة.

[9] آل عمران 14.

وعليه: نلاحظ عندما تبدأ الدّعايات الانتخابية في أوطان المتقدّمين علما وثقافة تُكشف الأوراق من قِبل الجميع حتَّى لا يكون الرّئيس المنتخب متّهما بارتكاب المفاسد الأخلاقيّة والسياسيَّة والاقتصاديَّة؛ ولهذا يكون الاختيار بين الأفضل ومن هو أفضل منه، وبين الأقدر والأكثر مقدرة، أمَّا في بلدان الغير؛ فغير ذلك، الحاكم يورّث حكمه أوَّلًا لأبنائه، وإن لم يكن له أبناء فلإخوته، وإن لم يكن له إخوة فالأقربون الأقربون، وهكذا حتَّى بلوغ القبيلة والعصبيّة.

إذن: عندما يقبل الإنسان أن تسيّره الرّغبة فبصيرته تعمى وتقوده نحو الانحطاط ولا كرامة؛ لذلك لابدَّ للإنسان من الترفّع عن هذا الانقياد الأعمى للشّهوات ورفض سيطرتها عليه، وأن يتكبّر عن هذه المفاسد المدمّرة، فبتكبّره الإيجابي هذا سينال المنزلة الرَّفيعة والمكانة العالية، وسينال احترام نفسه واحترام النَّاس من حوله؛ فالشهوات عندما تجعل الإنسان عبدا لها لا يملك لنفسه شيئا أمامها سوى الضّعف والوهن والقبول بالانقياد أمام ما يشبع الشّهوة ولو كانت مفاسد بيّنة[10].

ولأنَّ مبدأ ترسيخ الكرامة متعلّق بالرّفعة وتحقيق الأمل؛ فمن يبلغ المكانة والكرامة بلغ الأمل الذي لم يبلغه الغير، ومع ذلك وراء كلّ كرامة مكانة لآمال أرفع.

[10] عقيل حسين عقيل، تقويض القيم من التكميم إلى تفجّر الثورات، ص 60 . 66.

هدف تقديم المساعدة الهادفة:

وذلك بغاية: (مساعدة أفراد المجتمع على استثمار قدراتهم وطاقتهم الخلاَّقة، بالاستفادة من إمكانات المؤسَّسات الاجتماعيَّة والبيئية المحيطة ليتمكَّنوا من المشاركة في تغيير أحوالهم ومعالجة ما لديهم من إشكاليات وفقًا لخطط واستراتيجيَّات تمكّن من تحقيق التنمية البشرية الشَّاملة).

يحتوي هدف (تقديم المساعدة الهادفة) القواعد القيميَّة الآتية:

. تقديم المساعدة الهادفة.

. استثمار قدرات أفراد المجتمع وجماعاته.

. استثمار طاقات المجتمع الخلاقة.

. الاستفادة من إمكانيات المؤسَّسات الاجتماعيَّة.

. الاستفادة من إمكانيّات البيئة المحيطة.

. التمكّن من المشاركة.

. التغيير الذَّاتي.

. معالجة الإشكاليَّات.

. اعتماد خطط واستراتيجيَّات ناجحة.

. تحقيق التنمية البشرية الشَّاملة.

وعليه: فإنَّ المساعدة الهادفة موجبة كونها لا تُقدَّم إلَّا في أوجه الخير، إي إنَّها تُقدّم في أوجه ما يحب أن تُقدّم بشأنه أو من أجله؛ ولهذا فالمساعدة الهادفة في طرق الخدمة الاجتماعيَّة تُقدم بعد معرفة ودراسة وافية وفقًا لفلسفة المهنة المؤسَّسة على مبادئ قيميَّة، وأهداف إنسانيَّة.

والفرق كبير بين المساعدة الهادفة والمساعدة الوجوبيَّة، فالمساعدة الهادفة: من ورائها هدف محدّد ينجز بتقديمها. والمساعدة الوجوبيَّة: تقدَّم في أوجهها حتى ولو كانت المطالبة بها طارئة أو مفاجئة. والمساعدة الهادفة لا تُقدم إلا بعد دراسة وافية وتحديد موضوعي. وكلا المساعدتين من ورائهما أغراض وغايات إنسانيَّة. سواء أكانت مساعدات وقائيَّة أم علاجيَّة أم إصلاحيَّة، أو لمجرد ظروف المطالبة بها كما هو حال الذين تجبرهم الحاجة على الإلحاح في المطالبة بها ممن يكون، وهذا النّوع من المساعدة ليس بالهادف.

ومن أنواع المساعدة الوجوبيَّة مساعدة الأبناء لآبائهم العاجزين، ومساعدة الآباء لأبنائهم القُصَّر.

وبما أن المساعدة غير الهادفة قد لا تفيد.

وأن المساعدة غير الهادفة لا تعد واجبا.

إذن القاعدة هي:

المساعدة الهادفة وجوبيَّة.

والاستثناء هو:

تقديم المساعدة للضَّرورة.

ولهذا فعلى الأخصائي الاجتماعي إذا أراد إصلاحًا أن يعمل على تمكّين الأفراد من الاعتماد على إمكاناتهم وطاقاتهم وأن لا يعتمدوا على غيرهم، فالاعتماد على الغير لا يُسهِمُ في تنمية القدرات وتهيئة الاستعدادات وتطوير الإمكانات، بل يجعل في بعض الأحيان من متلقيها اتكاليين؛ ولهذا لن تحدث النُّقلة الموجبة للفرد والجماعة والمجتمع. بل يحدث شيء قد لا يكون متوقَّعا من قبل البعض ألا وهو الاستمرار في طلب المساعدة؛ فعلى سبيل المثال: السائلون الذين يستغلون أماكن العبادة أو الطرقات العامّة وبخاصّة في أماكن الازدحام، هؤلاء البعض منهم يحترف هذا النّوع من السُّلوك، مع العلم أنَّه غير عاجز وصحته بسلام، هؤلاء البعض يرونها الطريق المختصر للعيش أو الكسب، وهناك البعض الآخر المستغل من قبل بعض الشُطَّار الذين يختفون من ورائهم. وهناك المتعاطون الذين أدمنوا على التعاطي بغير حقّ؛ فهؤلاء البعض لن يستغنوا عن المطالبة بالمساعدة حتى ولو كانت أموالا طائلة.

ولذا فدور الأخصائي الاجتماعي يَكْمن في العمل على تمكين الأفراد والجماعات والمجتمعات من الاعتماد على طاقاتهم وإمكاناتهم التي تمدّهم بالثِّقة كلّما فطنوا إليها ولأهميتها في تحقيق عمليَّات الإصلاح وبلوغ الحلّ؛ لأنَّ مهنة الخدمة الاجتماعيَّة تعتمد على تقديم المساعدة الهادفة لاستثمار

الإمكانات والطاقات التي تُمكّن الفرد من الاعتماد على ذاته والاستفادة من الإمكانات المتاحة التي تؤهله لأداء دوره الاجتماعي والإنساني.

وعليه:

قف لحظة مراجعة مع نفسك.

اعرف مواطن الضعف فيك.

تحدَّى مواطن الضعف التي حددتها.

خذ من ماضيك عبرة.

خذ من تجارب الآخرين عبرة.

اقبل بتصحيح الخطأ وأقدم عليه بكلّ سرعة وبلا تسرُّع.

لا تتمسّك برؤاك لمجرد أنَّها من بنات أفكارك.

تطلّع للآخرين وقارن مكانتك ومكانتهم (أين أنت؟ وأين هم؟ ثمَّ قرّر).

انظر أمامك فإن لم تر أهدافًا التفت إلى نفسك تفكيرًا حتى تجد لك أهدافًا تحقّق لك مستقبلًا ناهضًا وحينها انظر تجد الكثير أمامك.

نمِّ قدراتك تمتد في دائرة غير المتوقَّع.

استثمر طاقاتك تصنع لك مستقبلًا باهرًا.

ولذا فإنَّ دور الأخصائي يكْمن في مساعدة العميل وتوجيهيه وإرشاده للاستفادة من إمكاناته وقدراته وطاقته وأخطائه وتجاربه وإمكانات وطاقات وأخطاء وتجارب الآخرين.

هدف التحصين القيمي:

وذلك بهدف: (إزالة العوائق التي تعترض الأفراد والجماعات، ثمَّ دفعهم إلى لعبِ أدوارهم الاجتماعيَّة، وأداء واجباتهم الوطنيَّة، والتمسُّك بالقيم التي يرتضيها النَّاس، وقاية من الفعل السَّالب، وتحصينهم علما ومعرفة "قيميا وخُلقا وفضائلا")

يحتوي هدف (التحصين القيمي) القواعد القيميَّة الآتية:

. إزالة العوائق.

. لعب الأدوار الاجتماعيَّة.

. أداء الواجبات الوطنيَّة.

. التمسُّك بالقيم.

. الرِّضاء الإنساني.

. الوقاية من الفعل السَّالب.

. التحصين العلمي.

التحصين المعرفي

. الأخذ بالفضائل.

. الأخذ بالقيم.

. الأخذ بالخلاق.

وعليه:

يكمن دور الأخصائي الاجتماعي في العمل على إزالة العوائق التي توضع أمام الأفراد والجماعات والمجتمعات من خلال مشاركتهم في إزالتها؛ من أجل لعب أدوار، وأداء واجبات، وحمل مسؤوليَّات اجتماعيَّة وإنسانيَّة.

ولهذا يجب أنْ يتمسّك الفرد والجماعة بالقيم الحميدة والفضائل الخيّرة المستمدَّة من المعتقد الدّيني ومن الأعراف والعادات التي تُشكّل الإطار المرجعي للمجتمع الذي ينتمون إليه؛ فهذه تجعلهم في حالة من الترابط والتفاعل والتماسك، ما يجعل تخلي بعضهم عنها على حالة نشاز، وقد يوصفون بالمنحرفين في الاتجاهات السلبية، التي ينظر إليها البعض بوجوبيَّة المقاطعة والمقاومة، وينظر إليها البعض الآخر بأنَّها من الأمور الشخصيَّة، أمَّا الأخصائيون الاجتماعيون فينظرون إليها أنّها سلوكيات في حاجة للدراسة الموضوعيَّة، التي تكشف العلل والأسباب الكامنة من ورائها، ومعرفة ما يجب القيام به مهنيّا حيالها.

والغرض من وراء حرص المجتمع على تمسك أفراده بالقيم والفضائل الاجتماعيَّة والإنسانيَّة هو: استمرارية التواصل مع التَّاريخ الذي تركه أو

سجله الآباء والأجداد، وكلّ ما اختبروه وآلفوه من قولٍ وفعلٍ وسلوكٍ يحافظ على وحدة الهويّة والانتماء.

ولذا فإنَّ التحصين القيمي يتمُّ باتخاذ معلومة قويَّة وفاعلة وغرسها في الأذهان والعقول حتى تترسَّخ، وبعد ترسّخها يصبح إزالتها أمرا صعبا؛ وهذا الأمر الصَّعب يعد أكثر صمودا في مواجهة المؤثرات السَّالبة، وعندما يكون أكثر متانة ينال التقدير والاحترام في دائرة الممكن من المؤيدين.

إحداث النُّقلة المهنيَّة

النُّقلة المهنيَّة لا يتم بلوغها وتحقيقها إلَّا عن وعي ودراية بموجبات ممارسة المهنة، ومعرفة مراميها القيميَّة، أي إنَّها المتغيّر الرَّئيس الذي تتبعه متغيرات من ورائه؛ ومن هنا فالنُّقلة هي نتاج جهود مدفوعة بحيويَّة المهنة وقيمها ومبادئها وأهدافها، وهي التي يمكن أن يتم اثباتها من خلال تقييم تلك الجهود، وتلك الحيويَّة وفقًا لمعايير ومقاييس تمكِّن من التمييز بين ما كان، وما حصل أو حدث ارتقاء؛ كونه قد طوى تلك الصّفحات المتأخرة عمَّا أصبحت المهنة عليه.

ولذا فالنُّقلة المهنيَّة بلوغ مكانة رفيعة لمن لم يكن قد تبوَّؤها من قبل، مكانة يحسب لها التقدير، وتنال الاحترام من المشاهدين والملاحظين؛ كونها النّاهضة بمن ينتمي إليها أو يلتجئ

ومن هنا فالنُّقلة مفهومٌ يعبّر عمّا حدث من تغيُّر وتغييرات في الزَّمن غير المتوقَّع وكان لها الأثر الرَّفيع في تحسين الأحوال وتجويدها، ونقل أصحابها من المستويات والخانات الدنيا إلى مستويات عليا، وبالمقارنة بين ما كان وما أصبح الإنسان عليه يلاحظ الفرق الشاسع إيجابيًّا؛ والنُّقلة من المعنويَّات كالتطوُّر والطفرة؛ لأنَّها الاسم نفسه.

أمَّا إحداث النُّقلة فهو نتاج ذلك الجهد المقصود بغاية بلوغ الغاية، أي: ذلك الجهد الذي بذل وفقًا لأهداف تنجز، وأغراض تتحقق، وغايات تبلغ، ومأمول يتمُّ نيله.

والنُّقلة غير النُّقلة؛ لأنَّ النُّقلة تطلق على الأثر الرَّفيع الذي ظهر على من أصبح معرفيّا وثقافيّا على غير ما كان عليه سُفليّة ودونيّة.

أمَّا النُّقلة: فهي ترتبط بالمحسوس المادّي، كنقلة بضاعة، أو نقلة ركّاب، أو أيِّ شيء يمكن أن يُشحن؛ وهي اسم مرّة من النَّقْل، يقول العسكري: النُّقلة لا تكون إلَّا عن مكان، وهي التحول منه إلى غيره[11]

ولهذا يلاحظ استخدام كلمة النُّقلة في غير مكانها، أي: إنَّها تستخدم من الكثيرين فيما ينبغي أن تستخدم فيه كلمة النُّقلة النوعيَّة.

وأقول لمن يرغب بلوغ النُّقلة: إنَّ تحدّي الصّعاب يحقّق النُّقلة النّوعيَّة، ويمكّن من تجاوز المستويات القيميَّة الثلاثة: (الذَّاتيَّة والإنسحابيَّة والأنانيَّة) إلى المستوى القيمي التطلُّعي والمستوى القيمي الموضوعي، اللذين يعتمد فيهما الإنسان على المنطق والعقل حُجّة في الحوار، وحجّة في استقراء واستنباط الأمور المتعلّقة بالعلائق الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة والسياسيَّة وبالعلائق النَّفسيَّة والذّوقيَّة والثَّقافيَّة.

ولأنّ تحدّي الصِّعاب يمكّن من إحداث النُّقلة النوعيّة؛ فإنّ النُّقلة تحقّق التميّز والمكانة الرَّفيعة والمنزلة العالية لمن يتحدّى الصِّعاب من أجل مأمول عظيم.

---

[11] أبو هلال العسكري، الفروق اللغويَّة، دار العلم والثقافة، القاهرة، تحقيق محمَّد إبراهيم سليم، ص 147.

أمّا الذين يعانون من حالات إنسحابيَّة فأمرهم غير ذلك، فهم يحتاجون إلى دراسة حالاتهم وتحديد مستوياتهم القيميَّة التي هم عليها، ثمّ إعادتهم لِما يجب، ثمّ بعد ذلك نقلهم إلى ما يُسهم في تحقيق المستقبل الأفضل والأجود الذي يحفِّزهم على تحدّي الصِّعاب ويحقّق لهم النُّقلة.

فدفع الأفراد للتعامل بأسلوب ديمقراطي مع بعضهم بعض ومع الآخرين في كلّ ما يتعلّق بهم من أمر سواء أكان هذا الأمر علائق أسرية، أم علائق جيرة، أم عمل، أم سياسة داخلية أو خارجية، أم أمر سلم أو حرب أو أيّ أمر من أمورهم الاجتماعيَّة يمكّنهم من بلوغ النُّقلة النوَّعيّة، وهكذا بالتمام تفطين المجتمعات والفئات الاجتماعيَّة إلى أهميَّة الاستيعاب في تبادل المعارف والعلوم والمكاسب التي تنمو بالجهود المشتركة والتعاون والاستيعاب المتبادل يمكّنهم من إحداث النُّقلة.

وعليه: فإنَّ إحداث النُّقلة مهنيًّا ليس مستحيلًا ولا معجزًا، بل إنَّه في دائرة المتوقّع وغير المتوقّع ممكنٌ، فَلِمَ لا يتم الإقدام على كلّ ما من شأنه أن يحدث النُّقلة ويحقّق الرّفعة ارتقاء؟

وعليه:

- كن إيجابيًّا؛ لتنال التقدير والاعتراف.
- كن متفهِّمًا؛ لتحدث النُّقلة.
- اعترف بالآخرين يتمّ الاعتراف بك.

. قدّر الآخرين تنال التقدير منهم.

. ثق أنّ الاعتراف يحقّق قيمة التقبُّل.

. ثق أنَّ الجحود مفسدة.

. ثق أنَّ مبادلة قيمة الاعتراف تبادل قيمة التقدير.

. استوعب الغير يستوعبك.

. شارك الغير تحدّي الصّعاب تتيسّر لك الأمور حتى ترى غايتك بين يديك.

وعليه: فمن أجل تحدّي الصّعاب وإحداث النُّقلة ينبغي لنا عدم الإغفال عن:

. تفعيل منطق النّحن بين أفراد المجتمع وجماعات التعلّم والعمل والجماعات الممارسة للمناشط المتنوعة، والجماعات الممارسة للسياسة والاقتصاد والذين يشتركون في رسم الخطط والاستراتيجيَّات لمجتمعاتهم.

. تمكين أفراد المجتمع من تكوين إحساس عام مشترك، مفاده أنّهم مفردات أساسية في الدّولة ولهم حقوق يجب أن تمارس وواجبات ينبغي لها أن تؤدّى، ومسؤوليَّات ينبغي لها أن تحمل، حتى يصبح منطق الجميع نحن معا.

. التركيز على القيم الاجتماعيَّة التي تستوعب الأفراد والجماعات دون استثناء، مع تفطين الأفراد بأهميَّة هذه القيم الاستيعابية، وحثهم على احترامها وتقديرها والوقوف عندها والابتعاد عمّا يُبعدهم عنها، فهذا الأمر يجعلهم في الاحتضان الاجتماعي الذي يمدهم بالدفء والطمأنينة.

. حث أفراد المجتمع وجماعاته وفئاته على استيعاب بعضهم بعضا، وتقبلهم كما هم يُمكِّن من تكوين علائق قيميَّة ذات أبعاد إنسانيَّة.

. وضع خطط وبرامج لتحقيق الألفة والمحبّة والموائمة الاجتماعيَّة والإنسانيَّة بين العاملين والمتعلمين وأفراد الأسر والممارسين للمناشط المتعددة، وأصحاب الحضارات وأصحاب الأديان المتعددة؛ ذلك لأنّ الرّب واحد ولا شريك له.

. دفع الأفراد تجاه الأفعال الاستيعابية التي تُسهم في زيادة قوّتهم قوَّة.

. المواءمة بين مطالب الأفراد وحاجاتهم، ومصادر الإشباع المتاحة في بيئتهم الاجتماعيَّة.

. التحريض على ممارسة أساليب الدِّيمقراطيَّة بما يحقّق المعاملة الحسنة بين الذين تربطهم علائق قيميَّة أو بين الذين تربطهم مصالح ومنافع مؤقّتة.

. غرس قيم الشَّفافيَّة واتباع أساليبها بين المتعلمين والممارسين لحقوقهم والمؤدّين لواجباتهم والحاملين لمسؤوليَّاتهم.

. تفطين أفراد الأسرة من غفلتهم عن متطلبات المراحل العمريَّة للأبناء وأثر المتغيرات التي تحيطهم في البيئة الاجتماعيَّة أو في القرية الصغيرة، حتى يتمّ الاستيعاب الموضعي وتقدير الحاجات المتطوّرة عبر الزّمن.

. دفع الأفراد للتعامل بأسلوب ديمقراطي مع بعضهم بعض ومع الآخرين في كلّ ما يتعلّق بهم من أمر سواء أكان هذا الأمر علائق أسرية أم علائق جيرة أم عمل أم سياسة داخلية أ خارجية أم أمر سلم أم حرب أو أيّ أمر من أمورهم الاجتماعيَّة.

. تفطين المجتمعات والفئات الاجتماعيَّة إلى أهميَّة الاستيعاب في تبادل المعارف والعلوم والمكاسب التي تنمو بالجهود المشتركة والتعاون والاستيعاب المتبادل.

. مشاركة الأفراد والجماعات في كلّ ما يتعلّق بهم من أمر دون إنابة عنهم في أمر من أمورهم التي يقدرون على القيام بها أو أدائها، ولا داعي للأحكام المسبقة التي تقول: (إنَّهم لن يكونوا قادرين).

. التأكيد على أهميَّة ممارسة الدِّيمقراطيَّة بشفافيَّة، يزيل الشّكوك التي تظهر بين الحين والحين بين أفراد المجتمع أو جماعته، ويطوي الهوة بينهم إلى أن يجعلهم يدا واحدة في مغالبة الصِّعاب وصُنع المستقبل المأمول.

. التأكيد على أهميَّة الاستيعاب في تنمية رأس المال الاجتماعي.

. ترشيد الأفراد والجماعات على التَّمسُّك بقيمة الاستيعاب؛ حتى يتمكّنوا من تحقيق مجتمع القوَّة.

. تفعيل المشاركة والتعاون بما يؤكّد أهميَّة كلّ فرد من أفراد المجتمع بالنسبة إلى الآخر وحاجته إليه.

. التخطيط لكلّ ما من شأنه أن يؤدِّي إلى توزيع المسؤوليَّات حسب الاختصاصات والأدوار والصّلاحيَّات؛ لأجل تفعيل مبررات الاستيعاب المثمر.

. المشاركة في المؤتمرات العلميَّة والسياسيَّة والاقتصاديَّة؛ للتعرف على المتغيرات المستحدثة التي تؤدّي إلى نتائج موجبة في العلائق الاجتماعيَّة والاستفادة منها في وضع البرامج وإعداد الخطط ورسم الاستراتيجيَّات التي تحقق النُّقلة.

. تشجيع أفراد المجتمع على إقامة صداقات خارج حدود الوطن من خلال شبكات المعلومات الدّوليَّة؛ تحقيقًا للتواصل مع الآخر واستيعابه بما يحقّق التقارب وتبادل المنافع.

. ترسيخ لغة ومفهوم (نحن) حتى لا تسري الشّخصانيَّة والأنانيَّة في سلوك بني الوطن وأفعالهم؛ لأنَّ كلمتا أنا وأنت تسمح بمسافة امتداد فراغي؛ لتجذب مشاعر الخوف إليها، فكلّما زاد تمسُّك الأنا بأناته اندفع الأنت لإعادة حساباته، وهذه تزيد من الظّنون وتقلل من الثقة التي ينبغي

لها أن تسود بين بني الوطن؛ ولهذا وجب سيادة: (إنا الفرد ينبغي لي أن أسود بكرامتي، وأنا الحريَّة ينبغي لي أن أعم النَّاس، وأنا الشَّفافيَّة ينبغي لي أن أكون في السُّلوك والفعل، وأنا الوطن يجب أن أكون خالصا لأهلي، وأنا الأبوّة والأمومة والأخوة والأسرة والجيرة التي لا ينبغي لأحد أن يُحرم أحد من مشاعري وانتمائي، وأنا دين الله الذي كُرِمت به الآدمية. وأنا المنطق الذي يجب أن أسود بينكم إذا أردتم التفاهم والتواصل وتبادل الاحترام، وإذا أردتم الاعتراف والتقدير، وأنا النَّاس كلّ النَّاس الذين لهم حقوق تمارس وواجبات تؤدى ومسؤوليَّات تُحمْل، وأنا كلمة حقّ لا بدَّ أن أُقال. وأنت الباطل لابدّ أن تُزال، وأنت العبد يجب أن تتحرّر، وأنت الاستعمار يجب أن ترحل، وأنت القيد يجب أن تُفك بإرادة أو تُكسر بالقوَّة، فأنت لم تكن أنا فلماذا لا تفهم؟ ونحن معا نحن).

من هنا تتضح قيم (النّحن) الاستيعابيَّة، التي تُمكِّن الأفراد من الالتقاء على الحُجَّة والتفاهم والاحتكام، لا على التعصّب بلا حُجَّة ولا برهان.

وعليه:

. استوعب النَّاس يتم استيعابك.

. اعترف بحقوق النَّاس يتمّ الاعتراف بحقوقك.

. قدّر النَّاس تنل التقدير منهم.

. عامل النَّاس بشفافيَّة تُعامل بها.

. عامل النَّاس بمرونة يمدوك بالاحترام.

. اعتمد المنطق حُجّة حتى يصبح قاسما مشتركا.

ولأنّ التمسّك بالمنطق تمسّك بالقواسم المشتركة. إذن: (التمسّك بالقواسم المشتركة) قاعدة، والتخلّي عنها استثناء.

ومن هنا، ينبغي لنا العمل على تفطين أفراد المجتمع إلى أهميَّة التمسّك بالقواسم المشتركة حتى يتوحّد الجميع على منطق (نحن)، الذي لا يقبل التفرقة والتجزئة والإقصاء.

ولهذا يفضّل أن تتمركز قواعد المنطق على الآتي:

. الحُجَّة إقناع واقتناع.

. البرهان دليل إثبات موضوعي.

. الاستيعاب بإعطاء الهامش.

. التوافق تمركز على عناصر القوَّة.

. التفرّق تمركز على عناصر الضّعف.

. التقبّل رضا إرادي.

. الاعتراف إقرار بالفضيلة.

. الاعتبار إعطاء مكانة للآخر.

. التقدير معياري النجاح.

. التواصل استمرارية علائقية.

. الشَّفافيَّة وضوح في القول والفعل.

. تفهم الظّروف اعتبار ذاتي.

. التعامل بالقيم الحميدة تنمية أخلاق.

وعليه: فإنَّ تفعيل العلائق الاجتماعيَّة والإنسانيَّة يؤدِّي إلى تحدّي الصّعاب، أمّا إهمالها فيؤدِّي إلى التراجع والانسحاب والضّعف الذي لا يؤدِّي إلّا إلى الخسارة والانهزام[12].

إحداث النُّقلة تبوء منزلة:

الدُّونيَّة منزلة سُفليَّة لا تليق بأهل العلم ولا أهل المكانة والرّفعة، بل ولا تليق بمن خُلق في أحسن تقويم، ومن أراد أن تكون حياته على الخُلق الرَّفيعة وعيا وتدبّرا فعليه بكلّ ما يُمكّن من إحداث النُّقلة ارتقاء إلى ما هو مأمول، وفي مقابل ذلك إن لم يحسن الإنسان إدارة شؤونه فليس له إلّا الانحدار، فآدم عليه السلام الذي خُلق في العليّة عندما أخفق في إدارة نفسه انحدر إلى سُفلية غير متوقعة، وهناك في دائرة غير المتوقّع واجهته

[12] عقيل حسين عقيل، تحدي الصعاب، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2018م، ص 6 - 52.

المفاجأة؛ بعد ما انحدر معصية مع انحدار شهوته ورغبته؛ التي جعلته على الهبوط إلى الحياة الدّنيا بعد أن كان في السّماء قمّة.

ولمتسائل أن يتساءل:

هل خُلق آدم على الارتقاء خلقا، أم أنّه جُعل عليه جعلا؟

أقول:

لو جُعل آدم على الارتقاء جعلا، لكان الارتقاء مستقلّا عنه وسابقا عليه؛ ولأنّه لا سابق على آدم ارتقاء فهو المخلوق عليه خلقا قال تعالى: {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ}[13]، ولأنّه خُلق على الارتقاء خلقا، قال (في أحسن تقويم)، وفي المقابل لو كان آدم قد جُعل على الارتقاء جعلا لقال تعالى: (على أحسن تقويم) وهو المأمول غير المتحقّق في ذات آدم خلقا، وهذا ما يخالف دلالة الحُسن التي خُلق منها آدم خلقا.

ومع أنّ آدم قد خُلق في أحسن تقويم، فإنَّه انحدر إرادة ومعصية، فكان في سُفلية ودونية أمام خالقه: {ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ}[14]، ومع ذلك استغفر آدم ربَّه تحدٍّ لما أوقعه في ارتكاب الخطيئة فتاب الله عليه، ومن هنا، فتح الله باب التوبة لعباده الذين آمنوا وعملوا الصّالحات: {إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ}[15].

---

[13] التين 4.

[14] التين 5.

[15] التين 6.

ومع أنّ آدم قد خُلق في أحسن تقويم، فإنَّه قد خسر ذلك الارتقاء بمعصية منه، ممّا جعله استغفارا يأمل الارتقاء عمّا انحدر فيه من سُفلية؛ فغفر الله له وتاب عليه بغاية الارتقاء إلى تلك المقامات العظام، ولكن الأمر لا يعد هينا؛ حيث لا عودة إلّا بالعمل الصّالح الممكّن من الارتقاء إلى تلك القمّة التي أصبحت أملَ آدم بعد أن كانت بين يديه.

ولأنَّ العمل ارتقاء يؤدِّي إلى ما يُنقذ بني آدم من الألم، كما يؤدِّي بهم إلى ما يُغرقهم فيه فهم بين هذا وذاك بين ارتقاء فيه العمل يُتقن، ودُونيَّة بها يُهمل وينحرف إلى ما لا يجب؛ ولذلك كان الصّدق ارتقاء في مواجهة الكذب انحدارا، وكان العدل ارتقاء في مواجهة الظّلم انحدارا، وهكذا كان الحقّ في مواجهة الباطل، والحريَّة في مواجهة الاستعباد، والدِّيمقراطيَّة في مواجهة الدّكتاتورية، والاستيعاب في مواجهة الهيمنة والإقصاء، وبين هذا وذاك يجب تحدّي الصِّعاب بما يُمكّن من الارتقاء قمّة.

ولأنّ بني آدم بين ارتقاء ودونية فهم بينهما بين ما يرسّخ قيمة الإنسان رفعة ونهضة ومكانة، وما يؤدِّي إلى التخلّف والفاقة وتقليل الشأن.

ولذلك فالعمل الصّالح ارتقاء لا يكون إلّا عملًا منتجًا ومتقنًا ومبدعًا ومرسّخًا لقيمة الإنسان، وفي المقابل العمل الفاسد والرّغبة الفاسدة لا يكونان إلّا على حساب القيم الحميدة، وعلى حساب مصالح الآخرين ورغباتهم ومصائرهم وما يشبع حاجاتهم المتطوّرة والمتنوّعة، ومن ثمّ؛ فالعفّة

والأمانة والنّزاهة وتحمّل أعباء المسؤوليَّة ارتقاء ستظل قيما في مواجهة تلك القيم المؤدّية بأصحابها إلى السُّفليَّة والدُّونيَّة التي تتمركز على الأنا.

ولهذا؛ فالارتقاء لا يمكن أن يبلغه بنو آدم إلّا عدلًا وعملًا وعفوًا وصفحًا، وكذلك الانحدار لا يمكن أن يبلغوه إلّا ظلمًا وإهمالًا وتشدّدًا وتطرّفًا، ففي دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، فمن شاء الارتقاء عمل من أجله ارتقاء وتحدّى الصِّعاب، ومن شاء الانحدار عمل من أجله سُفليّة ودونيّة.

وعليه:

فآدم بعد أن خسر تلك المكانة القمّة، عمل على الارتقاء إليها ثانية، ولكن ظل الارتقاء إلى تلك القمّة من قِبل بني آدم أملا وعملا، فمن يعمل صالحا يقترب منها، ومن يعمل باطلا يبتعد عنها؛ فالإنسان الذي خُلق على الارتقاء بداية، ثمّ انحدر عنه رغبة وشهوة، أصبح ثانية يسعى إلى العودة إلى القمّة، وهو يأمل أن تُرتق الأرض بالسّماء حتى يرى بأمّ عينه ما يأمله ارتقاء.

فبنو آدم خُلقوا على الاختلاف وسيظلون به مختلفين، حتى أهل الوطن الواحد والدّين الواحد واللغة والثَّقافة الواحدة هم مختلفون قدرات ومواهب واستعدادات وميول واتجاهات، ولهذا؛ فهم مختلفون بصمة، ولا تناسخ بينهم فيما خلقوا عليه خلقا، ولكن بينهم تماثل فيما هم عليه من معرفة وعلم وحضارة واقتصاد وسياسة، وفنون وآداب، ومع ذلك؛

فالاختلاف بينهم لا يلغيه التماثل والتشابه، بل التماثل والتشابه بين بني آدم يؤكّد وجود الاختلاف بلا لبس ولا غموض.

ولأنّه الاختلاف؛ فهو المحفّز على البقاء تنوّعا، وهو المحفّز على التغيير الممكّن من التّعاون والنّهوض ارتقاء؛ فبنو آدم ارتقاء يعلمون أنّهم لم يجدوا أنفسهم خلقا، بل خَلقَهم من هو أعظم منهم، فهم يعلمون أنّهم قبل الخَلق لم يكونوا شيئا يُذكر، ثمّ أصبحوا شيئا مذكورا؛ فهم يعلمون أنّ مشيئة من ورائهم هي التي أرادت لهم خَلقا، ولهذا؛ فهم يدركون أنّهم قبل الخَلق لم يبلغوا مستوى الوجود الصّفري قيمة، ولكن مشيئة الخالق شاءت لهم أن يكونوا شئيا فكانوا شيئا وفي أحسن تقويم: {أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا}[16].

فبنو آدم لكونهم شيئا مذكورا يدركون مشيئة شاءت لهم أن يكونوا خَلقا وفقًا لمشيئة هم لا يعلمونها؛ ذلك لأنّ المشيء وحده يعلم مشيئة خَلقه، أمّا المخلوق ارتقاء؛ فلا يدرك إلّا وجوده مخلوقا. ومع ذلك فهناك من يرى الوجود الكوني مخلوقا من غير خالق، وهنا تكمن العلّة المعرفية بين من يدرك أنّه لا مشيئة لمخلوق في خَلقه، ومن لا يدرك ذلك بقوله: إنّ الكون خلق نفسه ولا خالق من ورائه.

[16] مريم 67.

ولأنّ بني آدم بين الارتقاء والدُّونيَّة؛ فهم مختلفون رؤية ومعرفة وعلمًا، ولهذا فهم بين معرفة وعلم يؤدِّيان بهم إلى النّهوض قمّة، وجهل يؤدِّي بهم إلى الانحدار والدُّونيَّة.

ولذلك فالإنسان عندما ينهض يرتقي إلى ما يؤدِّي به إلى رتق الأرض بالسّماء، وعندما ينحدر يهوي سُفلية في القاع، أي: عندما يرتقي يجد نفسه وكأنّه يحتوي الإنسانيَّة في نفسه، ولكن عندما ينحدر يصبح عقله أشبه بعقل الحيوان: {فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَة خَاسِئِينَ}[17].

أي: عندما ينحدر الإنسان ممّا هو عليه من عقل مدبّر، لا شكّ أنّه يقترب إلى عقل القرد الذي هو في دونية إذا ما قورن بعقل من خلقه الله في أحسن تقويم؛ فمثل أولئك المنحدرون قيما هم مثل الحيوان الذي لا يتذكّر فيتّعظ، ولا يتدبّر فيخطط، ولا يفكّر فيرتقي إلى ما يجب أن يكون عليه رفعة، ولهذا؛ فلا يليق بالعقل الإنساني أن يتشبّه سلوكه بالعقل القردي، الذي متى ما انحدر إليه الإنسان أصبح لا فرق بينه ومن هو في دونيّة: {وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ}[18].

فالإنسان إن لم يُحسن الاختيار ولا أمل له، يجد نفسه في اتجاه السُّفليَّة والانحدار والدُّونيَّة، وإذا امتلك الإنسان الإرادة والأمل يصاحبه تحدٍّ

---

[17] الأعراف 166.

[18] المائدة 60.

للصِّعاب، تُفتح أمامه السُّبل في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع؛ ولهذا إن كانت الإرادة في حالة ضيق أو منعدمة؛ فلا يجد الأمل مجالا للامتداد فكرا ومعرفة، فالفِكْر الإنساني نتاج ما وصل إليه العقل البشري من معارف وعلوم ورؤى أسّس لثقافات وحضارات سادت، ثمّ بادت، ثمّ نهضت حضارات غيرها، وهكذا ستظل الحضارات بين نهوض وارتقاء، وإبادة وسُفليةٍ، وفقًا لقاعدة الصّراع بين ما يجب وما لا يجب، وستظلّ الحياة البشريّة في دورة من التفاعل بين (ارتقاء ودونية) حضارات تسود، ثمّ تبيد، ثمّ تنهض حضارات أخرى.

ولذلك عاش الإنسان الأوّل حياة الخلق في أحسن تقويم، ثمّ انحدر سُفليّة؛ فاتّسعت الهوة بينه وتلك المكانة ارتقاء؛ فكانت الدُّونيَّة بين يديه سلوكا على غير فضائل ولا قيم حميدة، وكانت الأساطير ترافقه وكأنّها الحلّ في الوقت الذي فيه الخرافة لا علاقة لها بما يحقّق الآمال المحدثة للنُّقْلَة وصانعة المستقبل المزدهر.

ومع أنّ القاعدة المنطقية ترى: أنّ الارتقاء أساس الخَلق البشري، ولكن الاستثناء يرى كفّة الانحدار تكاد أن تتعادل مع كفّة الارتقاء، وهنا تكمن العلّة، حيث قلّة الجهد المبذول من قِبل من يأمل ارتقاء، في مقابل الجهد المبذول من قِبل من تشدّه السُّفليَّة. وهذا الأمر يشير إلى أنّ زمن الصّراع سيطول بين من يأمل رتق الأرض بالسّموات، ومن لا يرها إلّا مُفتقة طباقا.

والذي يُعيق العمل عن النّهوض، وإحداث النُّقلة، وبلوغ الارتقاء قمّة هو العمل الذي ينحدر بأصحابه في دونيّة الأخلاق وسُفلية التخلّف السياسي والاقتصادي والاجتماعي والإنساني، قال تعالى: {وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحا فَلَهُ جَزَاء الْحُسْنَى}[19].

فالإنسان الذي خُلق في أحسن تقويم، هو الإنسان المقوّم للارتقاء، وليس للدّونية، ولكن لأنّ الارتقاء والدُّونيَّة يتأثران بالمعرفة والتّخيير تذكّرًا وتدبّرًا وتفكّرًا؛ فهما بيد الإنسان رغبة، واختيارًا؛ ولذلك ينبغي لبني آدم أن يعملوا كلّ ما من شأنه أن يؤدِّي بهم إلى إحداث النُّقلة الممكّنة من معرفة المستحيل وبلوغه ارتقاء.

ولهذا فمن تُلهه نفسه شهوة فلن يجد نفسه إلّا على حالة من الانحدار والدُّونيَّة التي لا تزيده إلّا تقليل شأن.

فالإنسان الذي خُلق على قمّة النشوء ارتقاء، لو لم ينحدر بداية، لكان إلى يومه هذا على قمّة الزَّمن الحاضر في حُسن خَلقه وخُلقه؛ ولكنّ الغفلة قد أخذته فعصى ربّه؛ فانحدر إلى ما لا ينبغي له، ثمّ حاول النّهوض، ولكنّه ما لازال يحاول وهو بين أمل ويأس. أمل الارتقاء إلى ذلك الماضي تحدٍّ، ويأس بلوغه بعلل الشّهوة التي لا ترى الأنا إلّا مركزا على حساب الغير.

[19] الكهف 88.

ومن ثمّ ينبغي لبني آدم عند رسم السّياسات أن يجعلوا وراء كلّ هدف غرضا، من ورائه أغراض تحقّق لهم المكانة والكرامة، أي: تحقّق لهم المكانة الشخصيَّة قدوة، وتحقّق لهم الكرامة الآدميّة رفعة، وتحقّق لهم العيش السّعيد قيمة. ولكن إن لم يتحدّوا الصِّعاب ويعملوا ويفعلوا فلا شيء لهم إلّا البقاء على رصيف الحاجة متسوّلين، وهنا يكمن الانحدار علّة[20].

إحداثُ النُّقلة رفعة:

لا شكَّ أنَّه لا رفعة إلَّا والنُّقلة من ورائها؛ ولهذا فعلاقة قويَّة بين مفهوم النُّقلة ومفهوم الرّفعة، فالنُّقلة: (امتداد من إلى) أي: من حالة أقل إلى حالة أرفع؛ أمَّا الرّفعة؛ فهي: بلوغ مستوى الرُّقي سواء أكان علميًّا، أم ثقافيًّا، أم اقتصاديًّا، أم ماليًّا، أم سياسيًّا، أم حضاريًّا بشكلٍ عامٍ.

ولهذا فالرِّفعة ارتقاء منزلة، وتبوئ مكانة، وامتلاك حُجّة، وهي الحيويّة التي تجعل من أصحابها قدوة حسنة قولا وفعلا وعملا وسلوكا، وهنا الرِّفعة تعالٍ عمّا يشين.

ومن ثمَّ فهي حُسن إدارة ما يُساس، والارتقاء به عدالة مع وافر الشَّفافيَّة في ممارسة الحريَّة بأسلوب ديمقراطي، وتغلّب على ما يؤدِّي إلى ألمٍ، أو يعيق بلوغ المأمول ونيله.

[20] المصدر السابق، ص 76.

والرِّفعة قيمة عالية تضع من بلغها مكانًا مرموقًا؛ تكون مسافته بعيدة جدّا عن تلك النَّقطة الدونيَّة، ما يجعل أقوال وأفعال المرموقين بها على قمم الأخلاق والعلم والإنتاج حتى يتّصفوا بها قدوة ورفعة وارتقاء، وبها ترتفع الدِّول سياسة حضارية؛ إذ العلم والعمل المنتج وقيمة الإنسان وتنميته ركائزها.

ومن هنا فإنَّ الرفعة لا تأتي إلّا من الفضائل الخيّرة والرواء صانعة المستقبل ومحدثة النُّقلة، التي تستمدّ علما ومعرفة من كلّ مفيد ونافع، وبما يجسِّد قيمة الإنسان، ويمكّنه من نيل الاعتراف والتقدير والاعتبار وغرس الثقة، ويحفّزه على بلوغ المأمول ونيله.

فالإنسان أساس خلقه الرِّفعة (في أحسن تقويم) وغايته الارتقاء خُلُقا إلى ما يجب؛ ومع أنّ الأخلاق بيد النَّاس، ولكن البعض يخسرها بلا ثمن.

ولذلك فالإنسان الأوّل (آدم) قد خُلق من تراب الجنَّة؛ وظل على خَلقه سلالة بشرية تمتدّ بين طينٍ لازب وماء دافق، ولا انحدار عن الخَلق المقوّم ولا تطوّر من بعده؛ فالإنسان هو الإنسان. ولكن الانحدار والتطوّر في دائرة الممكن هو بين متوقّع وغير متوقّع؛ فآدم وزوجه خُلقا في الجنَّة من تراب الجنَّة، ومع ذلك تعرّضا لإغواءٍ جعلهما على حالة من الانحدار عن تلك الرِّفعة التي خلقا عليها، إذ عدم التزامهما بالأمر النّاهي عن الأكل

من تلك الشّجرة: {فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ}[21].

ولهذا فالبقاء في الجنَّة بقاء رفعة شأن، فمن لا يكون عليها لا يكون فيها، فحتى آدم عليه الصّلاة والسّلام الذي خُلق في الجنَّة خَلقا، أُهبط به على الأرض الهابطة إلى الحياة الدّنيا؛ وذلك بأسباب معصيته وميله لوسوسة من أغواه شهوة، وهنا فالسِّياسة رفعة لا تكون كذلك إلّا إذن ارتبطت بالقيم الحميدة والمبادئ الخيرة، والرواء البناءة، وفي المقابل إذن ارتبطت بغيرها شهوة ليس لها إلّا الانحدار والدونية.

ولأنّ هبوط آدم عليه السّلام كان نتاج الانفتاق العظيم بعلل الشهوة؛ فهو خروج من الجنَّة، حيث ظلّت الجنَّة في العلو رُقيّا ورفعة، وظلّ آدم ومن معه من المخالفين والعصاة (الإنس والجن) يحيون الحياة الدّنيا على الأرض الدّنيا.

أمّا بعد الهبوط؛ فَالفتن لم تنته، بل تكاثرت مع التزاوج والتكاثر، فالصّدامات والخصومات بين أبالسة وشياطين الإنس والجنّ استمرّت بلا انقطاع، ومع ذلك؛ فإنَّ بقاءها في الحياة الدّنيا هو بغاية الاتعاظ وأخذ العبر من ذلك الإغواء الذي كان سببا في هبوط المخالفين من الحياة الرَّفيعة الرّاقية إلى الحياة الهابطة.

[21] البقرة 36.

ولأنَّ مخالفة آدم وزوجه لِمَا نهى الخالق عنه (الأكل من تلك الشّجرة قد أخرجهما من الجنَّة)؛ فظلّ هذا الدّرس شاهدا على ما يمنع بني آدم من أن يدخلوا الجنَّة. أي: بما أنّ تلك المخالفة قد أخرجت آدم وزوجه من الجنَّة، إذن فكيف لبني آدم دخولها؟

أقول:

قال تعالى: {مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ}[22].

ولأنَّ أمر الهبوط كان أمرا حاسما لمخالفة جرت في الجنَّة؛ إذن: ألا يعد أمر الهابطين أمرا حاسما في عدم الدّخول إليها؟ وهل من مخرج من هذه الأزمة، ومعظم الخَلق لهم من المخالفات ما لهم على الانحدار والدُّونيَّة؟

أقول: قال تعالى: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعا}[23].

ولأنَّ الدّين مصدر الفضائل والقيم الرَّفيعة؛ فلا إكراه فيه، وهذه عين الأخلاق؛ فمن شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر، ولذا وجب قول الحقّ وترك النَّاس أحرارا يختارون ما يشاؤون إرادة، ولكن إن حدث الانحراف

---

[22] الأنعام 160.

[23] الزمر 53.

فوجب الإصلاح الذي يستوجب البدء مع المنحرفين من حيث هم (جهلا أو تعلّما)، وذلك من أجل بلوغ الإصلاح، أو بلوغ الحلّ ارتقاء.

ولأنَّ الرّفعة ارتقاء هي أساس المعاملة الحسنة؛ فالأخذ بها لا شكّ يجعل الإنسان على المحبّة بدلا من أن يكون على الإكراه الذي لا يترك إلّا ألما: {أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاس حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ}[24]. أي: فلا داعي أن يضيق صدرك يا نبي الله وأنت تعلم أنّ مشيئة الخالق هي الفاعلة: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعا}[25]؛ لذلك كان محمّد داعيًا إلى سبيل الحقّ بالحكمة والموعظة الحسنة، ولا إكراه، وهذه عين الأخلاق رفعة وارتقاء؛ فالأخلاق تُعدّ قيمة ارتقاء في ذاتها، وهي عندما تتجسّد في سلوك السّاسة يصبح سلوكها قمّة ورفعة.

ولهذا عندما تصبح السِّياسة رفعة حُجَّة ورفعة قول ورفعة سلوك ورفعة عمل وفعل يظل الاقتداء بأصحابها اتباع لِسُبل بيّنة، ذات معانٍ ودلالات تطمئن الآخذين بها إذن ما اقتدوا بما يرشد إليها وجوبا؛ ذلك لأنَّ الاقتداء ارتقاء لا يؤدِّي إلّا لموجب، وفي المقابل الاقتداء انحدارا لا يؤدِّي إلّا لسالبٍ، ومن هنا، يتولّد الحوار بين ما يؤدِّي إلى الارتقاء، وما يؤدِّي إلى الانحدار؛ فالذي يؤدِّي إلى الارتقاء لا غاية من ورائه إلّا اتباع الحقّ، والاقتداء به، وبمن يتّخذه سلوكًا وعملًا مفعولًا، أي إنَّه الاقتداء الذي لا

[24] يونس 99.

[25] يونس 99.

يخضع للمساومات ووهن الشهوة، ذلك لأنَّ ما يخضع لذلك بيعًا وشراءً يُدخِل أصحابه في خانة التبعيّة والانقياد وفقًا للثّمن المباع به أو الثّمن المشترى به؛ فالاقتداء رفعة يستوجب اتباع الحقّ الذي لا يضع مُتّبعوه في خانة الدُّونيَّة: {اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرا وَهُمْ مُهْتَدُونَ}[26]، بمعنى: اتبعوا من جاء من أجلكم دون أن يسألكم مقابلا، أي: اقتدوا بمن يراكم قيمة في ذاتكم لا من لا يراكم إلّا بما تقدّموه بيعًا أو شراءً.

ولذلك فالاقتداء الحسن قوّة لا يكون إلّا من قِبل الذين لهم من العزيمة ما لهم، ولهم من الآمال الحسنة ما لهم، وفي المقابل لا يؤدِّي إلى الانحدار إلّا الضّعف الذي له من القيم السّلبية ما له، كالشّهوة، والشّخصانيَّة، والطّمع، والاتّكالية والنّفاق والجبن والخيانة، ومن ثمّ؛ فالاقتداء لا يكون اتباعا إلّا عن رغبة وإرادة.

ولهذا فالاقتداء اتباع لا يكون إلّا بتوفّر الحُجّة والسِّياسة النافعة المحقّة للحقّ والمدحضة للباطل والممكنة من المعرفة الواعية، وهو لم يكن تقليدا مورّثا بغير حُجّة.

ذلك لأنَّ التقليد المورّث في بعض الأحيان لا يزيد أصحابه إلّا دونيَّة وانحدارا: {إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ}[27]، ومع ذلك فالسِّياسة رفعة ترى أنَّ الذين لا حجّة لهم، هم الذين يجب حوارهم

[26] يس 21.

[27] الزخرف 22.

وجدالهم حتى يتحرّروا من قيود التقليد الحائل بينهم وبين الارتقاء؛ ولذلك فاتباع العقل اتباع قدوة وحُجّة، وليس اتباع موروث وأشخاص؛ فالموروث الذي لا يُمكّن من أخذ المواعظ والعبر من التّاريخ، هو مورث مُفلس حيث لا قيمة، وهذا الأمر يجعل البعض كمن يلكّ العلكة ثم يخرجها من فمه ليتركها لمن بعده لعلّه يلكّها، وهذا ما يؤدّي إليه التقليد المفسد للقيم، وإن لم يدرك هؤلاء البعض من النّاس مخاطر ومفاسد التقليد عن غير دراية، سيجدون أنفسهم يعيشون عصرا قد تجاوزته العصور: {وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ}[28].

فالتقليد الذي ينبغي لك الأخذ به، هو الممكّن من تجاوز ما يؤلم، أو ما ينذر بألم، وهنا، وجب التمييز بين ما يمكن أن يكون تقليدا لإظهار القدوة الحسنة، وما هو أهواء بمبررات مجهولة: {وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ}[29]؛ فينبغي أن يكون التقليد والاتباع للفضائل الخيّرة والقيم الحميدة، والنّاس القدوة، كما كان سيدنا إبراهيم غليه السلام الذي وُصِفت قدوته بالأمّة: {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّة}[30]، أي: فمن أراد أن يكون قدوة حسنة؛ فعليه أن يستوعب القيم الحميدة للأمّة كلّها، ثم يجسّدها في سلوكه كما جسّدها إبراهيم عليه السّلام، لتكون من بعده بين أيدي النّاس رفعة تجمع الشّمل على الكلمة السّواء.

---

[28] الأعراف 142.

[29] الجاثية 18.

[30] النحل 120.

فالاقتداء الذي ينبغي له أن يتّبع هو الذي أساسه الحُجّة الفاصلة بين الحقّ والباطل، وليس تقليدا للأفراد في ذواتهم؛ ذلك لأنَّ الفضائل والقيم تبقى، أمّا النَّاس فزائلون: {اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلا مّا تَذَكَّرُونَ}[31]. أي: اتبعوا ما يبقيكم على المكانة والرِّفعة، ولا تتبعوا الزائلين، وإن أردتم أن تكونوا قدوة حسنة وخلائف في الأرض؛ فخذوا ما أمر الله به ارتقاء؛ لتجعلوه تقليدا لمن خَلفَكم، وهو التقليد الذي يمكّن مَن خلفكم مِن تنظيم حياتهم على المحبّة والوفاق، ويمكّنهم من العمل المنتج بلا مظالم.

ومع أنَّ الاقتداء بالفضائل لا يكون إلّا في مرضات الله، ولكن حتى وإن أخذ الإنسان بكلّ ما قاله الله؛ فلا يمكن له أن يكون الله، بل يكون قدوة حسنة في مرضاة الله، وهو الذي خُلق الإنسان من أجله، وإلّا هل هناك من يظن أنّ الخالق قد خَلق العباد لمعصيته؟

وكذلك إنْ أخذ الإنسان بكلّ ما جاءت به الرّسُل؛ فلا إمكانيَّة لأن يصبح أحد رسولا، ولكن تقليدا بإمكانه أن يكون قدوة حسنة: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ}[32].

ولهذا فالتقليد الحسن يجعل من المقلِّد قدوة حسنة، وفي المقابل التقليد السّيء لا يجعل من صاحبه إلّا سيئا. ومهما بلغ التابعون من التقليد؛ فلن

---

[31] الأعراف 3.

[32] الأحزاب 21.

يكونوا مبدعين إن اقتصر تفكيرهم على التقليد فقط؛ ولذا فالقدوة الحسنة يمكن أن يكون من الذين قضوا نحبهم كما هو حال الأنبياء والرّسل عليهم الصّلاة والسّلام: {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ}[33]، وكما هو حال رجالات التَّاريخ مثل: الشيخ عمر المختار، والشيخ عبد القادر الجزائري وغيرهم كثير؛ فهؤلاء ومن كان مثلهم مع أنّهم ليسوا على قيد الحياة، ولكنّهم خير قدوة، ولكلّ رسالته التي بقيت حُجّة بين أيدي المقتدين به رفعة.

أمَّا القدوة على قيد الحياة فإلى جانب كونه قدوة فضائل وقيم، ولكن ينبغي أن يضيف إلى ما جعله قدوة، ما يجعله قدوة أكثر ارتقاء، وهكذا يصبح الاقتداء من حسنٍ إلى ما هو أحسن من أجل بلوغ القمّة قيمًا وفضائلًا.

ومع أنَّ التقليد لا يكون إلّا لسابقٍ، فإنَّه دائمًا من أجل الارتقاء، والتقليد ارتقاء دائمًا للأحسن، حتى وإن جاء ممّن هو أقل مكانة، كما هو حال ابن آدم الذي كان الغراب أكثر منه معرفة بما يُمكن أن يُقلّد؛ فابن آدم الذي قَتل أخاه ولم يكن يعرف كيف يواري سوءته، وقف عاجزا في حيرة من أمره إلى أن بعث الله غرابا ليريه كيف يواري سوءة أخيه: {فَبَعَثَ

[33] الممتحنة 4.

اللَّهُ غُرَابا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي}[34].

إذن: التقليد ارتقاء لا يكون إلّا بالمعرفة المرشدة لما هو أفضل وأنفع، وممّن تكون؛ فالأشخاص لو لم تكن لديهم المعرفة الكافية والواعية فلا إمكانية لأخذهم قدوة، وعندما يفتقر الإنسان إلى المعرفة الحسنة؛ فلا إمكانية لأن يكون قدوة، ومن هنا؛ فمن تكون له المعرفة ارتقاء يكون قدوة حسنة[35].

ومن ثمّ فالأخذ بالقيم والفضائل تقليد يخلق القدوة الحسنة التي تأخذ بالاقتداء والاعتزاز الذي يجعل للإنسان قيمة؛ فالأبناء أوّل من يقتدون به قدوة هم آباؤهم إن كانوا قدوة، ومدرسوهم إن كانوا قدوة، ثمّ ينضجون بحثا عن مكانة تليق بهم وفقًا لما يأملونه ارتقاء؛ ولذلك فالقدوة الحسنة تترك أثرا طيبا لدى الأجيال، في مقابل ما تتركه القدوة السيّئة من أثر غير حميد؛ فمن يقتدي بالقول والسُّلوك والفعل والعمل الطيّب يجد نفسه مقتديا بما هو مرغوب فيه قيمة وفضيلة، ومن يقتدي بغير ذلك سيجد نفسه على غير قيم حميدة ولا فضائل خيّرة؛ فالقدوة الحسنة تبقى قدوة

[34] المائدة 31.

[35] عقيل حسين عقيل، من معجزات الكون، ص262 . 266.

حتى وإنْ انتهى أصحابها؛ فالأنبياء كونهم قدوة حسنة هم أحياء (حجّة وعقيدة، وفعلا وعملا وسلوكا)، وهكذا رجالات التَّاريخ وصنّاعه قدوة.

وعليه:

فالمربّي يكون قدوة حسنة، متى ما نقل للنشء تجاربه الموجبة، وخبراته النّافعة، وقيم المهنة الرّاقية، وفضائل المجتمع الخيّرة، وفي المقابل قد يكون قدوة سالبة إذن لم يتطابق قوله وسلوكه وفعله وعمله مع أخلاق المهنة وقيم المجتمع وما ترتضيه الإنسانيَّة والسياسات النافعة.

وهكذا المعلّم قدوة حسنة، متى ما نجح في تُحْمَل المعلومة المتجدّدة ارتقاء، وكذلك الأم قدوة حسنة موجبة، متى ما نجحت ارتقاء في غرس مشاعر الأمومة في أبنائها، وفي المقابل تكون قدوة سيئة متى ما انحرفت منهجا وخُلقا وسلوكا، وكذلك الأب يظل قدوة حسنة متى ما غرس عاطفة الأبوة في أبنائه جنبا إلى جنب مع قيم المجتمع المفضّلة، ويكون قدوة سلبية متى ما انحرف عمّا تفضّله الإنسانيَّة من قيم.

وبما أنَّ القدوة الحسنة حلقة وصل تربط الأجداد بالأحفاد، إذن: فتواصل الأجيال يتطلَّب القدوة، وتواصل الحاضر مع الماضي يتطلَّب الذّاكرة، وهكذا تواصل الحاضر مع المستقبل يتطلَّب الأمل الذي تحفّزه القدوة الحسنة لما يجب أن يكون عليه ارتقاء ورفعة[36].

[36] عقيل حسين عقيل، منابع الأمل، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص 150 – 157.

وعليه فالسِّياسة رفعة لا تكون إلّا والمأمول نافع ومفيد، وأنّ الآمل لا يسعى إلّا لما يفيد، ومن هنا يوصف المأمول بالقمّة؛ فيصبح الارتقاء رفعة عن كلّ ما يؤدِّي بأصحابه إلى السُّفليَّة والدُّونيَّة، فيؤخذ بالقيم الحميدة والفضائل الخيرة مع وافر التقدير والاحترام للأفراد والجماعات والمجتمعات والحضارات والثقافات والأديان، كما أنّه يمكّن من التوافق والاندماج الذي فيه الإنسان قيمة في ذاته؛ فلا يهان ولا يقلل من شأنه ولا يحرم من ممارسة حقوقه وأداء واجباته وتُحْمَل مسؤولياته. والرِّفعة هنا قد تكون بأسباب العلم والثَّقافة وحسن المعرفة وقد تكون نتاج التربية وتهذيب السُّلوك ومخافة الله.

والسِّياسة رفعة بها تُتّبع أساليب الاحترام والتقدير والاعتبار والتّفهم، وبها يتمّ الإنجاز أو الإنتاج دون أن يسود استغلال للجهد الذي به أنجز العمل أو أنتج.

ولأنَّ السِّياسة رفعة هي المبدأ الذي ينبغي أن يُتّبع أو المنهج الذي يجب أن يؤخذ به، فهي المنقذ من الميل إلى الانحدار والسفليَّة، وهي مكمن القيم الحميدة التي تحوّل العاملين من خانة المستهلكين إلى خانة المنتجين والمبدعين ومتحدّي الصّعاب.

إذن: السِّياسة رفعة تتوجب عملا وجهدا يبذل مع خالص النيّة، أي: لا أمل ولا عمل ولا إنتاج إلّا والجهد يبذل، والجهد هنا قد يكون فكريا وقد يكون عضليّا وقد يكون فنيّا ولوجستيّا (خبرة ومهارة) وهذه من مجوِّدات العمل ارتقاء؛ فلا ينبغي له الإغفال عنها وعن أهميّتها وعن أدوار

أصحابها. أي: يجب أن تقدّر تقديرا عاليا من حيث الحوافز والدّوافع وكلّ ما من شأنه أن يشجّع على المزيد أو يشجّع آخرين ليلتحقوا بخانة الآملين.

ومن ثمّ فالسِّياسة رفعة تستوجب دراية ومعرفة واعية، أي: المعرفة بما يجب ويتّبع، وما لا يجب ليجنّب أو يبتعد عنه، مع معرفة وافية بقوانين العمل والمهنة والوظيفة وتشريعاتها وحْمَل المسؤوليَّة حتى وإن كانت عبئا جسيما مع معرفة الآخر واحترامه وتفهّم ظروفه وأحواله.

وعليه فإنّ السِّياسة رفعة هي:

. الأمل والعمل ارتقاء لا يكونان إلّا عن وعي.

. الأمل ارتقاء لا يكون إلّا والعمل جودة لا تفارقه.

. الأمل ارتقاء يحقّق الرِّفعة الذّوقيَّة.

. الأمل ارتقاء يُحدث النُّقلة إلى الأجود والأنفع والأفيد.

. الأمل ارتقاء احترام إنساني.

. العمل ارتقاء يعد حُسن تدبّر ينبغي أن يقدّر.

. الأمل ارتقاء لا يكون إلّا نتاج تفكّر فيما يجب وأدائه وفقًا لما يجب.

. الأمل ارتقاء تجاوز للكسل والاتكاليَّة والطّمع.

. الأمل ارتقاء تحدّي صعاب.

. الأمل ارتقاء تجاوز للمألوف المكلف.

. الأمل ارتقاء صنع مستوى قيمي رفيع.

. الأمل ارتقاء انفتاح موضوعي واستيعاب للأفضل والأجود.

ولذا فالأمل ارتقاء فيه السِّياسة رفعة شأن، وتقدّم تجاه ما هو أفضل وأجود وأنفع، ولكنّه لا يكون إلّا ببذل الجهد وعن دراية مع سابق تخطيط وفقًا للإمكانات الممكنة، ومن ثمّ فلا إمكانية للتقدّم ما لم تتوافر معطياته من بحث علمي وأخذ بالقيم الحميدة والفضائل الخيّرة مع طموح وغايات من ورائها نيل المأمولات العظيمة رفعة.

فالكلمةُ الأمل مهما عظمت إن لم تتجسّد في سلوكٍ يدفع إلى العمل المنتج تظلّ كلمة في حاجة للحياة، ولا حياة لها إلّا العمل، ولكن أيّ عمل؟ إنّه العمل رفعة وارتقاء (بناء وإصلاحا وإعمارا مع ارتقاء الأخلاق قمّة)، والعمل ارتقاء هو إنشاء الشيء من الشيء، كما أنشأ نوح عليه السّلام سفينة النّجاة من جذوع الشّجر إبداعا، والفضائل والقيم من ورائها إنقاذ.

ولأنَّ الأمم والشّعوب التي تقدّمت لم تتقدّم إلّا بالعمل؛ فَلِمَ لا يُقدِم المتأخّرون عنهم على العمل الممكّن من طي الهوة بينهم وبين المتقدِّمين الذين ارتقوا علما وتقنية وحُسن إدارة؟

ولأنّ الأمل ارتقاء لا يكون سياسة نافعة إلّا عملا؛ فينبغي على من يرغب ارتقاء أن يُقدِم على العمل النّافع، وينبغي له أن يجوِّد منتجاته لتكون

منافسة لمنتجات الغير، ذلك لأنّ المنتجات غير المنافسة لن تجد لها مكانا في أسواق المستهلكين.

وهذا يعني: إنْ لم تَقدِم الشّعوب وبكلّ طاقاتها على العمل المنتج والمبدع فستظل متخلّفة وتابعة لمن يمتلك القوَّة المنتجة ويسيطر على السّوق، وقد تصبح مدانة بما لم تستطع تسديده، وهنا ستجد نفسها أمام خيارات قد لا تكون محمودة، ويومها لن ينفع النّادمين ندم.

وعليه: إنَّ الرِّفعة تجعل المكانة لمن لم تكن لهم مكانة؛ فمن رغب مكانة ويأمل تبوئها فعليه بالعمل المنتج ويحرّض من تربطهم به علاقة على العمل لتكون المكانة فردية وجماعية؛ فالأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام جميعهم يعملون ويحرّضون النَّاس على العمل، ويحبّون من يعمل من أجله وأجل من تربطه بهم علاقات: {وَقُلِ اعملوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ}[37].

فهكذا هم الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام أرسلوا للنّاس من أجل الهداية والعمل ارتقاء؛ فكانت القيم الحميدة والفضائل الخيّرة جنبا إلى جنبٍ مع الإصلاح والبناء والإعمار ارتقاء عبر التَّاريخ، وكانت الآمال لا تفارق عقول النَّاس؛ فالإنسان الأوّل الذي خُلق في الجنَّة رأى الارتقاء بأمّ عينه، بل عاش الارتقاء حياة نعيم، ولكن بأسباب المخالفة والمعصية ارتكب خطأ فأخرج به هبوطا من الجنَّة إلى الحياة الدّنيا، والتي من بعدها

[37] التوبة 105.

أصبح واضعا نصب عينيه أمل العودة إلى تلك الجنَّة التي ضاعت من بين يديه وهو يتحسّر، بما أقدم عليه شهوة وإرادة، حتى وإن كان بأسباب الإغواء، ولكن بعد أن استغفر ربّه، ظل يعمل من أجل العودة إلى ذلك العيش الرّغد الذي حُرم منه بما ارتكبه من فعل منهي عنه، ومع ذلك ساد الصّراع بين النَّاس إلى يومنا هذا (بين من صدّق الرّسل ومن كذّبهم)؛ فمن صدّق الرّسل يأمل كما أمِلَ الإنسان الأوّل الارتقاء إلى الجنَّة التي عاشها حياة فردوس، ومن لم يصدّق؛ فلا يرى جنّة، وهنا تكمن العلّة.

وهكذا فالإنسان لم يقف عند ما يأمله، بل تجاوزه بالعمل حتى صعد إلى القمر الذي كان يعتقد أنّه الجنَّة، ثم تجاوز القمر كونه لم يكن كذلك، فغزى الفضاء اكتشافا، وهو في سعيه لم ييأس ارتقاء من بلوغ ما هو أعظم، ولا غاية له من وراء ذلك إلّا تحقيق الرِّفعة وبلوغ الجنَّة، إنّها رسالة الأنبياء عليهم الصّلاة والسّلام؛ فمن أخذ بها ارتقاء أخذ بما يجب الأخذ به، ومن لم يأخذ بها؛ فلن يبلغ التقدّم والارتقاء المحقّق لإشباع الحاجات المتطوّرة والمتنوّعة وبناء الحضارة التي ترتقي بصُنّاعها إلى صناعة المزيد رفعة.

ومع أنَّ الإنسان خُلق على الارتقاء خَلقا، فإنَّه لم يحافظ على ارتقائه؛ فأُهبط به من علوٍ إلى دنيا، ومع ذلك عيناه لم تفارق السّماء، بل ظلّت تبصر هناك بأمل العودة، وهذا الأمر هو الذي حفّزه على العمل ودفعه إليه ارتقاء.

فالإنسان لو لم يكن مؤهلًا للارتقاء، ما فكّر وتدبّر حتّى تمكّن من اقتناص الفكرة التي مكنته من غزو الفضاء وهو يأمل في المزيد ارتقاء، ولأنَّ حاجات الإنسان متنوّعة ومتطوّرة؛ فهي إن لم تواكب من قِبله بالعمل المتطوّر تصبح ضاغطة عليه ألما شديدا؛ فعليه بالعمل وتحدّي الصّعاب، ولا يخشى شيئا سوى الحقّ الذي يمكّنه من التقدّم والنّهوض وتحقيق الرِّفعة والمكانة قمّة.

ولهذا فما بلغه الإنسان من ارتقاء علمي وثقافي وحضاري يؤسّس قاعدة عريضة للمزيد المعرفي الممكّن من الإصلاح والبناء وقبول التحدّي من أجل الأفضل والأفيد والأنفع والأرقى. ومن أراد أن يرتقي إلى المأمولات العظام فلا إمكانية له إلّا بذل الجهد والعمل الذي له من الأهداف ما له وله من الأغراض ما له ومن وراء كلّ ذلك غايات تُبلغ ومأمولات يتمّ نيلها أو الفوز بها، ولهذا فالرِّفعة عملا تحقّق:

- الارتقاء.
- تبوء المكانة.
- القدوة الحسنة.
- الاعتماد على الذَّات.
- بلوغ الغايات.
- نيل المأمولات.

وعليه: فالأمل ارتقاء لا سقف له؛ فلا تجعل من مستوى الجودة الذي بلغته مظلة لتجلس تحت ظلّها وكأنّها الغاية، بل عليك أن تعرف أنّ الجودة درجات سُلم يتمّ الصّعود عليها، ولا يتمّ الصعود إليها. ذلك لأنَّ الوسيلة ليست الغاية ولا المأمول، ولأنّ السّلم وسيلة فلا تقف عنده وكأنّه المهم الذي لا شيء مهم من بعده.

فعليك بالعمل، فالعمل الصّالح كما يرضي القائمين به جهدا مبذولا يرضي الله، ولكلّ جزاؤه: {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ}[38]. أي: لكلٍّ حسابه؛ فللعمل الرّاقي حسابه، وللعمل الواطي حسابه، ولا يظلم أحدا.

ولأنَّ العمل ارتقاء يؤدِّي إلى ما يُنقذ بني آدم من الألم، كما يؤدِّي إلى ما يُغرقهم فيه؛ فهم بين هذا وذاك بين ارتقاء فيه العمل يُتقن، ودُونيَّة بها يُهمل وينحرف به إلى ما لا يجب؛ ولذلك كان الصّدق ارتقاء في مواجهة الكذب انحدارًا، وكان العدل ارتقاء في مواجهة الظلم انحدارًا، وهكذا كان الحقّ في مواجهة الباطل، والحريَّة في مواجهة الاستعباد، والدِّيمقراطيَّة في مواجهة الدكتاتوريَّة، والاستيعاب في مواجهة الهيمنة والإقصاء، وبين هذا وذاك يجب التحدّي بما يمكّن من الارتقاء قمّة ورفعة.

ولأنَّ بني آدم بين ارتقاء ودونية؛ فهم بينهما بين ما يرسّخ قيمة الإنسان رفعة ونهضة ومكانة، وما يؤدِّي إلى التخلّف والفاقة وتقليل الشأن.

---

[38] الزلزلة 7، 8.

ولذلك فالسِّياسة رفعة لا ترى العمل الصّالح إلّا ارتقاء، وفي المقابل العمل الفاسد والرّغبة الفاسدة، لا يكونان إلّا على حساب القيم الحميدة، وعلى حساب مصالح الآخرين، ورغباتهم ومصائرهم وما يشبع حاجاتهم المتطوّرة والمتنوّعة، ومن ثمّ؛ فالعفّة والأمانة والنّزاهة وتحمّل أعباء المسؤوليَّة رفعة، ستظل قيما في مواجهة تلك القيم المؤدّية بأصحابها إلى السُّفليَّة والدُّونيَّة التي تتمركز على الأنا[39].

فالرِّفعة لا يمكن أن يبلغها بنو آدم إلّا عدلا وعملا وعفوا وصفحا، وكذلك الانحدار لا يمكن أن يبلغوه إلّا ظلما وإهمالا وتشدّدا وتطرّفا؛ ولذا في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع؛ فمن شاء الارتقاء عمل من أجله ارتقاء، ومن شاء الانحدار عمل من أجله سُفليّة[40].

[39] عقيل حسين عقيل، إحداث النُّقلة تحدٍّ، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص 93 – 119.

[40] عقيل حسين عقيل، الأمل، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص 193.

صدر للمؤلّف

صدر للمؤلّف الدّكتور عقيل حسين عقيل: 92 بحثا نشرت داخل ليبيا، وخارجها.

صدر له (191) مؤلّفا منها: ستَّةُ موسوعات، وهي:

. الموسوعة القيميَّة لبرمجيَّة الخدمة الاجتماعيَّة (4 مجلَّدات)، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

. موسوعة أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض (11 مُجلَّد)، دار ابن كثير، دمشق. بيروت، 2009م.

. موسوعة صفات الأنبياء من قصص القرآن (9 مجلَّدات)، المجموعة الدوليَّة للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

. موسوعة الأنبياء من وحي القرآن (12 مجلَّد)، المجموعة الدوليَّة للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

. موسوعة من قيم القرآن الكريم (13 مجلَّد)، شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

. موسوعة الأنبياء من وحي القرآن والسنّة (27 مجلَّد)، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

أشرف، وناقش 83 رسالة ماجستير، ودكتوراه.

. مجالات اهتمام المؤلف البحثية:

1 . الخدمة الاجتماعيَّة، والتنمية البشرية.

2 . طرق البحث الاجتماعي.

3 . الفكر والسياسة.

4 . الإسلاميَّات.

5 . الأدب

تُرجمت ونشرت له مؤلّفات باللغة الإنجليزية، والتركيَّة.

المؤلّفات

1 ـ مستوى التحصيل العلمي بمرحلة التعليم المتوسط، طرابلس ليبيا، 1989م.

2 ـ الأصول الفلسفية لتنظيم المجتمع، منشورات جامعة طرابلس، ليبيا، 1992م.

3ـ فلسفة مناهج البحث العلمي، منشورات الجأ، 1995م.

4 ـ منهج تحليل المعلومات وتحليل المضمون، منشورات الجأ، مالطا، 1996م.

5 ـ سيادة البشر دراسة في تطور الفكر الاجتماعي، منشورات الجأ، مالطا، 1997م.

6 ـ المفاهيم العلميَّة دراسة في فلسفة التحليل، المؤسسة العربية للنشر وإبداع، الدار البيضاء، 1999م.

7 ـ البُستان الحُلم، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1999م.

8 ـ التصنيف القيمي للعولمة، منشورات الجأ، مالطا، 2001م.

9 ـ الديمقراطية في عصر العولمة (كسر القيد بالقيد)، دار الجأ، مالطا، 2001م.

10 ـ نشوة ذاكرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2004م.

11 . خماسي تحليل القيم، دار الكتاب المتحدة، بيروت، 2004م.

12 . منطق الحوار بين الأنا والآخر، دار الكتاب المتحدة، بيروت، 2004م.

13 . خدمة الفرد قيم وحداثة، دار الحكمة، 2006م.

14 . خدمة الجماعة رؤية قيميَّة معاصرة، دار الحكمة، 2006م.

15 . البرمجيَّة القيميَّة لمهنة الخدمة الاجتماعيَّة، الدار الدوليَّة للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

16 . البرمجية القيميَّة في طريقة تنظيم المجتمع، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

17 . البرمجية القيميَّة في طريقة خدمة الجماعة، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

18. الموسوعة القيميَّة لبرمجية الخدمة الاجتماعيَّة، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

19 . البرمجية القيميَّة في خدمة الفرد، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2008م.

20 . مفاهيم في استراتيجيات المعرفة، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2008م.

21 ـ المقدمة في أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، بيروت ـ دمشق، 2009م.

22 ـ موسوعة أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2009م.

23 ـ ألستم من آل البيت، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

24 ـ مختصر موسوعة أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

25 ـ خطوات البحث العلمي (من تحديد المشكلة إلى تفسير النتيجة)، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

26 ـ قواعد المنهج وطرق البحث العلمي، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

27 ـ أسماء حُسنى غير الأسماء الحسنى، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

28 ـ آدم من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

29 ـ نوح من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

30 ـ إدريس وهود وصالح من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

31 ـ إبراهيم وإسحاق وإسماعيل ولوط من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

32 ـ شعيب من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

33 ـ يعقوب ويوسف من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

34 ـ داوود وسليمان من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

35 ـ يونس من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

36 ـ أيوب واليسع وذو الكفل وإلياس من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

37 ـ موسى من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

38 ـ عيسى من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

39 ـ محمَّد من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

40 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، آدم ونوح، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

41 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، ادريس ويعقوب ويوسف، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

42 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، أيوب وذو الكفل واليسع والياس، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

43 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، موسى وهارون وعيسى، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

44 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، يونس وزكريا ويحيى، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

45 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ولوط، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

46 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، هود وصالح وشعيب، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

47 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، داوود وسليمان، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

48 . صفات الأنبياء من قصص القرآن، النبي محمَّد، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

49 ـ موسوعة صفات الأنبياء من قصص القرآن، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

50 ـ موسوعة الأنبياء من وحي القرآن، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

51 ـ التطرُّف من التهيّؤ إلى الحلّ، المجموعة الدولية للطباعة وانشر، القاهرة، 2011م.

52 ـ ألسنا أمةً وسطا، ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2011م.

53 ـ المنهج وطريقة تحليل المضمون، ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2011م.

54 ـ الإرهاب (بين قادحيه ومادحيه) المجموعة الدولية للطباعة وانشر، القاهرة، 2011م.

55 ـ الخوف وآفاق المستقبل، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2011م.

56 ـ سُنن التدافع، شركة الملتقى للطباعة وانشر للطباعة والنشر، بيروت: 2011م.

57 ـ خريف السُّلطان (الرَّحيل المتوقّع وغير المتوقّع) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

58 . من قيم القرآن الكريم (قيم إقداميّة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

59 . من قيم القرآن الكريم (قيم تدبّرية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

60 . من قيم القرآن الكريم (قيم وثوقيّة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

61 . من قيم القرآن الكريم (قيم تأييدية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

62 . من قيم القرآن الكريم (قيم مناصرة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

63 . من قيم القرآن الكريم (قيم استبصارية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

64 . من قيم القرآن الكريم (قيم تحفيزية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

65 . من قيم القرآن الكريم (قيم وعظية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

66 . من قيم القرآن الكريم (قيم شواهد) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

67 . من قيم القرآن (قيم مرجعيّة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

68 . من قيم القرآن الكريم (قيم تسليمية) شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.

69 . من قيم القرآن الكريم (قيم تسامح)، شركة الملتقي للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.

70 . من قيم القرآن الكريم (قيم تيقُّنيّة)، شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.

71 . الرفض استشعار حرية، دار الملتقى، بيروت، 2011م.

72 . تقويض القيم (من التكميم إلى تفجّر الثورات)، شركة الملتقى، بيروت، 2011م.

73 . ربيع النَّاس (من الإصلاح إلى الحلّ) المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2011م.

74 . موسوعة القيم من القرآن الكريم، شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2012م

75 . أسرار وحقائق من زمن القذافي، المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، ودار المختار طرابلس، 2013م.

76 . وماذا بعد القذافي؟ المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013م.

77 . ثورات الرّبيع العربي (ماذا بعد؟) المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013م.

78 . العزل السياسي بين حرمان وهيمنة، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.

79 . السياسة بين خلاف واختلاف، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 3014.

80 . الهويّة الوطنية بين متوقّع وغير متوقّع، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014.

81 . العفو العام والمصالحة الوطنية، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.

82 . فوضى الحلّ، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.

83 . بسم الله بداية ونهاية، القاهرة، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، 2015.

84 . من معجزات الكون (خَلق . نشوء . ارتقاء)، المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2016م.

85 . مقدّمة الأنبياء من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

86 . موسوعة الأنبياء من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

87 . آدم من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

88 . إدريس من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

89 . نوح من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م 89 .

90 . هود من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

91 . صالح من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

92 . لوط من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

93 . إبراهيم من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

94 . إسماعيل من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

95 . إسحاق من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

96 . يعقوب من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

97 . يوسف من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

98 . شعيب من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

99 . أيوب من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

100. ذو الكفل من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

101 . يونس من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

102 . موسى من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

103 . هارون من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

104 . إلياس من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

105 . اليسع من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

106 . داوود من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

107 . سليمان من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

108 . زكريا من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

109 . يحيى من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

110 عيسى من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

111 . محمّد من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

112 . الدّعاء ومفاتيحه، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة، 2017م.

113 . صُنع المستقبل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

114 . الفاعلون من الإرادة إلى الفعل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

115 . مبادئ التنمية البشرية، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

116 . من الفِكَر إلى الفِكْر، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

117 . التهيؤ، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

118 . منابع الأمل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

119 . الأمل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

120 . المبادئ الرئيسة للسياسات الرّفيعة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة، 2018م.

121 ـ تحدّي الصعاب، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

122 ـ الواحدية من الخلق إلى البعث، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

123 ـ مبادئ تحدي الصعاب، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

124 ـ المعلومة الصائبة تصحح الخاطئة (من الخوف إلى الإرهاب) مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

125 ـ الممكن (متوقّع وغير متوقّع) مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

126 ـ مبادئ فكّ التأزّمات، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

127 ـ الأهداف المهنيّة ودور الأخصائي الاجتماعي، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

128 ـ تصحيحا للمفاهيم (فاحذروا)، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

129 ـ العدل لا وسطية ولا تطرف، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

130 . غرس الثّقة (مبدأ الخدمة الاجتماعيَّة)، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

131 . مفاهيم الصّلاة والتسليم على الأنبياء، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2018م.

132 . الخدمة الاجتماعيَّة (قواعد ومبادئ قيميَّة) مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

133 –كيفيّة استطلاع الدراسات السَّابقة مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

134 – الخدمة الاجتماعيَّة (تحليل المفهوم ودراسة الحالة) مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

135 – الخدمة الاجتماعيَّة (مبادي واهداف قيميَّة) مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

136 – الخدمة الاجتماعيَّة (مفاهيم مصطلحات)، مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

137 – التنمية البشرية (كيف تتحدّى الصّعاب وتصنع مستقبلًا)، مكتبة القاضي، القاهرة، 2018م.

138 - مبادئ الخدمة الاجتماعيَّة (تحدّي الصّعاب وإحداث النُّقلة) مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2019.

139 _ الإرهاب بين خائف ومخيف، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2019.

140 _ التطرُّف من الإرادة إلى الفعل، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2019.

141 _ البحث العلمي (المنهج والطريقة) مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2019.

142 _ العدل ينسف الظلم، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

143 _ تقويض الإرادة، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

144 _ القوَّة تفكّ التأزُّمات، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

145 _ إحداث النُّقلة تحدٍّ، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

146 _ نيل المأمول قمَّة، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

147 _ نحو النظريَّة خلقًا، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

148 _ نحو النظريَّة نشوء، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

149 _ نحو النظريَّة ارتقاء، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

150 – الخلاف (في دائرة التَّاريخ) مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

151- القواعد المنهجية للباحث الاجتماعي والقانوني، القاهرة: دار القاضي، 2220.

152 – قواعد البحث للعلوم الاجتماعيَّة والإنسانيَّة، 2020م.

153 – خطوات البحث العلمي وصناعة الأمل، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

154 – المنهج العلمي وإحداث النُّقلة، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

155- دراسة الحالة ودور الأخصائي الاجتماعي، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

156- قواعد البحث العلمي وصنع المستقبل، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

157- وسائل التأهب للبحث العلمي، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

158- حلقات صناعة المستقبل، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

159- أمحمَّدٌ أميٌّ، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

160- طرق البحث العلمي ونيل المأمول، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

161- الطريقة العلميَّة لتحليل مضمون القيم، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

162-كسر الوهم، القاهرة: مكتبة القاضي، القاهرة: 2022م.

163- معجزات وبعضها من بعض، المصرية، القاهرة: 2022م.

164 . أيد السارقِ تقطع، المصرية، القاهرة: 2022م.

165 – العقل من اللاشيء إلى الشيء دراية، مكتبة القاضي، القاهرة: 2022م.

166 – النُّقلة من التكيف إلى التوافق، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

167 – أوهام الأنا (اللاهويَّة)، مكتبة القاضي، القاهرة: 2022م.

168 – استرداد السِّيادة، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م

169 - موت الموت، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

170 – العقل قيد (من الأمّية إلى الاستنارة)، مكتبة القاضي، القاهرة: 2022م.

171 – الرِّجال القوامة، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

172- الدِّراية من الأمر إلى الطاعة، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

173- النشوز والقيم القوَّامة، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

174 – استطلاع الدراسات السابقة (من حيرة الباحث إلى نيل المأمول)، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

175 – الخدمة الاجتماعيَّة الناهضة (قواعد ومبادئ)، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

176 – الخدمة الاجتماعيَّة الناهضة، (غرسُ ثقة، تحدّي صِعاب، إحداثُ نُقلة)، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

177 – الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة (الدور المهني للأخصائي الاجتماعي)، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

178 – الخدمة الاجتماعيَّة النّاهضة (من التكيّف إلى صنع الأمل)، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

179 – الخدمة الاجتماعيَّة النّاهضة (مجالاتها عمليَّاتها وسائلها)، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

180 – الشخصيَّة (من الترجّي إلى التحدي)، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

181 – الشخصيَّة الليبيَّة، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

182 – الشخصيَّة المتهيّأة، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

183 – الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة (دراسة الحالة من النشوز إلى قطع اليد)، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

184 – الشخصيَّة المتأهِّبة، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

185 – الانحراف من النّشوز إلى الضَّرب، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

186 – التدبُّر، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

187 – التفكير (من التذكّر إلى التفكّر)، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

188 – الاستنارة (من الاستظلام إلى الاستجلاء)، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

189 – الخدمة الاجتماعيَّة الناهضة (من إنجاز الأهداف إلى نيل المأمولات)، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

190 – الخدمة الاجتماعيَّة الناهضة (المستويات القيميَّة للتحليل العلمي)، الدار المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

191- الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة (الأهداف المهنيَّة وإحداث النُّقلة)، الدار المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

المؤلّف في سطور

أ د. عقيل حسين عقيل

مواليد ليبيا 1953م

بكالوريوس آداب 1976م بدرجة الشّرف الأولى جامعة الفاتح (طرابلس).

ماجستير تربية وتنمية بشريَّة، الولايات المتحدة الامريكيَّة (جامعة جورج واشنطن) 1981م مع درجة الشّرف.

. دكتوراه في الخدمة الاجتماعيَّة.

. أستاذ بجامعة الفاتح كلية الآداب (طرابلس).

. شغل منصب أمين تعليم بلدية طرابلس (1986 . 1990).

. انتخب من قبل مؤتمر الشعب العام مفتشا عامًّا لقطاع الشؤون الاجتماعيَّة، ثمّ كلّف بالتفتيش على وزارتي التعليم العام والتعليم العالي 2006م.

. شغل منصب أمين التعليم العالي (وزيرًا) 2007 . 2009م.

. انتخب أمينًا عامًّا للتنمية البشريَّة بأمانة مؤتمر الشّعب العام 2009م.

. صدر للمؤلّف 92 بحثا نشرت داخل ليبيا وخارجها.

. صدر له (191) مؤلّفًا منها ستة موسوعات.

. أشرف وناقش 83 رسالة ماجستير ودكتوراه.

. مجالات اهتمام المؤلف البحثيَّة:

1 . الخدمة الاجتماعيَّة والتنمية البشرية.

2 . طرق البحث الاجتماعي.

3 . الفكر والسياسة.

4 . الإسلاميات.

5 . الأدب

تُرجمت ونشرت له مؤلّفات باللغة الإنجليزية والتركية.

الموقع الإلكتروني: (موقع الدكتور عقيل حسين عقيل)

أو: https://draqeel.com/